



ملا



٢٠١٦

أحمد ناجي

روجرز

روچرز

(رواية)

أحمد ناجي

أحمد ناجي

روجرز

(رواية)

الطبعة الأولى - ٢٠٠٧

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٥٢٩٧

الغلاف: عمر مصطفى

دار ملامح للنشر

٢ ش الديوان - جاردن سيتي - القاهرة

تليفون: ٠١١٢٧٧١٥٢٢

E-mail : info@malamih.com

Website: www.malamih.com

المدير التنفيذي: محمد الشقراوى

جميع الحقوق محفوظة لدار ملامح للنشر © ٢٠٠٧

روچرز

(رواية)



ممارسة هذه اللعبة بشكل ممتع يرجى الاستماع لألبوم

"The Wall"

لفريق **"Pink Floyd"** أثناء عملية القراءة

أخذتني من يدي، صعدت سلمة وناولتني مقدار
زيتون وقالت ((احمل عني))، انعطفت يمينا وناولتني تُفاحاً
شامياً وسفرجلاً عُثمانياً وخوخاً عمانياً وياسميناً حليياً وبنو
فراده شقياً وخياراً نيلياً وليموناً مصرياً وتمر حنا وشقائق
النعمان وبنفسجاً. وخطبتني فقالت ((تحامل، واحمل))،
سارت خمساً وتبعتها بسبع وشبت لأعلي فطلبت عشرة
أرطال لحماً فقطع لها، ولف اللحم في ورق موز وقالت
((احمله، واتبعني))، ثم هبطنا درجتين وأحضرت طبقاً وملأته
بالمشبك وقطائف وميمونة وأمشاط وأصابع ولقيمات
القاضي ووضعت جميع أنواع الحلاوة في الطبق وناولته للولد
وقالت له مثلما حدثته من قبل، عبر الاثنان ممراً قصيراً
وانعطفا يمينا، مدت كفها فتناولت عشرة مقادير من مياة ماء

الورد وماء زهر وخلافه وأخذت قدراً من السكر وأخذت
ماء ورد مُمسك وحصى لبان ذكر وعود عنبر ومسكاً
وأخذت شمعاً اسكندرانياً واستدارت فناولته للفتى.

ومثل الأحلام كانت حركة قدمي ثقيلة، وما أحمله كان
خفيف الوزن، بينما البهجة تُطرب قلبي فقط لقربي منها حيث
كنت مأخوذاً بفتنتها، قلقاً من الاستيقاظ قبل اللحظة
المُناسبة، وحين دفعت الباب برفق، ثَبْتُ نظري على غُصنها
الرهيف وهي تلجُ للدَاخل؛ وقفت على العتبة، استدارت
بوجهٍ بشوش نحوى وقالت:
- ادخل.

شارعُ التين الذي أكلته الشمسُ

"...we came in?"

So ya

Thought ya

Might like to go to the show.

To feel the warm thrill of confusion

كنتُ واقفاً على السجادة الحمراء الصغيرة في غرفتي، مُغمضاً عيني واضعاً سواكاً طريراً في فمي ورأسي تتحرك مع كل ضربة على وتر الجيتار في اتجاه. صوت الموسيقى عالٍ، ومن جفوني المُغلقة أرى الظلام أسود، لكن رغم ذلك كنت أرى وجه مُهرج يتحرك بشكلٍ هذلي كأنما يقود أوركسترا. ثم كانت السجادة الصغيرة ترتفع ببطء كأنها تطير.

أحضرت مسطرة أخي ٢٠سم، شبة ممسوحة الأرقام انخبتُ على السجادة، العرض يساوي ثلاثة أضعاف ونصف طول المسطرة، العرض يساوي ٧٠سم تقريباً، الطول يساوي ثماني مرات ضعف طول المسطرة، الطول يساوي ١٦٠سم، أنا على سجادة من ٧٠ سم في ١٦٠ سم على وشك الطيران.

في سن السادسة من عمري، عرض فيلم سوبرمان في أحد أيام الجمعة، وقتها كانت ابنة خالي الكبيرة تعيشُ معناً،

جَلَسْنَا نَحْنُ الْاِثْنَيْنِ فِي تِلْكَ الظَّهيرةِ الَّتِي أَذْكَرُ حَرَارَتَهَا وَرَطوبَةَ
الجو فِيهَا تُشَاهِدُ الفِيلْمَ مُخْدِرِينَ، وَحِينَ انْتَهَى الفِيلْمُ، ظَلَلْتُ
اقْفُزُ مِنْ عَلَى الكُرَاسِيِّ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَأَنَا ارْدَدُ ((سوبرمان..
سوبرمان))، فَتَحْتُ دَرَجَ أُمِّي وَتَنَاوَلْتُ إِيشَارِبَ أَحْمَرَ، مَوْشَى
بمُخْطُوطٍ بِيضَاءٍ رِبَطْتَهُ حَوْلَ رِقْبَتِي وَنَزَلْتُ عَلَى السَّلَامِ نَحْوَ بَيْتِ
جَدِي فِي الدَّوَرِ السُّفْلِيِّ ((سوبر مان.. سوبرمان)).

الإِيشَارِبَ الْأَحْمَرَ الَّذِي رِبَطْتَهُ حَوْلَ رِقْبَتِي بِطَرِيقَةٍ تُشْبِهُ
طَرِيقَةَ سوبرمان لَا يَزَالُ مَوْجُوداً إِلَى الْآنَ، أَحْضَرْتَهُ وَبَعَسْطَرَةَ
أَخِي أَخَذَتْ أَقْيَسَهُ كَانَ أَرْبَعِينَ فِي أَرْبَعِينَ، إِيشَارِبَ أَحْمَرَ مِنْ
٤٠ سَم فِي ٤٠ سَم كَانَ قَادِراً عَلَى مَنْحِي القُدْرَةَ عَلَى الطَّيْرَانِ
بِلِ وَتَحْوِيلِي لِسوبرمان.

وَفِي الرِّحَالَاتِ الطَّوِيلَةِ كُنْتُ أَخْرَجُ رَأْسِي مِنَ النَّافِذَةِ وَ أَمْدُ
ذِرَاعِي إِلَى الْمُنْتَهَى، افْتَحَ عَيْنِي فَتَسِيلُ إِفْرَازَاتُهَا الْمَائِيَةَ دُونَ
إِرَادَتِي، أَغْمَضْتُهَا لِلْحِظَّةِ ثُمَّ افْتَحْتُهَا ثَانِيَةً، أَرَى نَفْسِي فِي الْأَعَالِي
بَعِيداً عَنِ كُلِّ الْمَجَالَاتِ وَمُخَالِبِ الْجَاذِبِيَّةِ وَأَغْصَانِ العَاطِفَةِ
فَقَطِ الهَوَاءِ بِكَامِلِ خَشُونَتِهِ، هَا أَنَا مَلِكُ فِي الْأَعَالِي..

"Lights! Turn on the sound effects! Action!"
"Drop it, drop it on 'em! Drop it on
them!!!!!"

The sea may look warm to you babe
and the sky may look blue
But ooooh Baby

لدى صورة فوتوغرافية كَشَفَ التحليل الكربوني لها أنها
تعود لأكثر من عقدين للخلف. في الصورة أقف طفلاً أتوسط
أبي وأمي واقفين على الشاطئ، ارتدى شورت أخضر اللون
بينما المياه لونها رمادي مثل كل الشواطئ العامة الشعبية.

لا أذكر أين الشورت الأخضر، لكنه بالتأكيد مثل الكثير
من ملابس طفولتي موزع في أرجاء الأرض سواء في هيئة
ملابس باهته، أو قطع قماش مُهترئه، لكن الصدق يقول إن
الشورت الأخضر على جسدي الهزيل يبدو ساحراً والصورة
كلها تبدو فاتنة، وقتها كنت أتمتع بحب أبي وأمي وحدي
دون أخوة، طفلاً سعيداً يرتدى شورت أخضر فاتن ويتمتع
بمياه البحر بصحبة والديه.

لكن يعقوب القناوي يسخر من ذلك ويقول ((ما أشد فتنة
الذكريات على قلب من هو ليس بغير ولا فتى))

صورة فوتوغرافية أخرى تعود لعقد ونصف للخلف، فيها
أجلسُ على حافة حمام سباحة مُرتدياً شورت أزرق هذه المرة،

أقدامي في المياه، عن يميني أختي وعن يساري أخي وفي الخلفية يبدو أبي.

لا أذكر مناسبة التقاط تلك الصورة، لكن أذكر حمام السباحة ذلك الذي كنا نذهب إليه في الصيف بمعدل ثلاث مرات في الأسبوع، نفس حمام السباحة الذي كنت واحداً من القلائل الذين شاهدوا فيه الصبي الأسمر حين انزلت قدمه من على محفة القفز فهوى لترطم معدته بحافة الحمام ولتنفجر في المياه؛ كنت في المياه وقت سقوط الفتى، وشاهدت كيف انتشر الدم بسرعة في أرجاء الحوض... الدم يقترب مني وأحاول الفرار منه، قدمي لا تطول الأرض فاضطر للسباحة، تبدو الحافة بعيدة وحركة ذراعي واهنة، انظر خلفي أري الدم يقترب أكثر، وكما الكابوس كانت حركتي تزداد بُطناً والدم يقتربُ أسرع وأنا في قمة الرعب، وحين دنت الحافة وضعت يدي عليها ورفعت جسمي للأعلى للخروج، التفتُ للخلف، كانت أقدامي في المياه الممزوجة بالدم. خرجت من حوض السباحة وأنا أجري والمياه الحمراء الممزوجة بدم الفتى تُعطي سَاقِي. وتقطرُ من سروالي.

الآن اكتشفت أنه ليس لدى شورت للسباحة لا أخضر، و
لا أزرق، بل أنى لم أذهب للسباحة منذ ما يقارب الخمس
سنوات. فما أشد فتنة الذكريات على قلب من هو ليس بغير
ولا فتي.

* * *

في زمن الحرب، طوال خمسة أيام من الأسبوع من السبت
حتى الأربعاء، في نفس الميعاد من الساعة الخامسة إلى السادسة
والنصف، يرتفع صوت البيانو.

بنت صغيرة كل يوم تدق على البيانو وتدرس بصبر، تُخطئ
كثيراً، وتُكرر نفس الألحان حتى تُصيبك بالملل، وفي أيام لا
يمكن أبداً أن تسمعها ليس لأنها فيها تتوقف عن العزف، بل
لأنك أنت من تكون أذنك مشغولة بتعقب آثار الرصاص
وضربات المدافع، وتتبع حركة البوارج الرابضة في الخليج على
مشارف فم ميناء المدينة. كل هذه الفوضى تحدث، والفتاة لا
تتوقف عن الضرب والدق بصبر على البيانو، شيء غريب،
مُحير، مُعقد.

لكن إذا حدث مرة -فما الحياة إلا مرة واحدة- وعشت حتى انتهت الحرب مثلي، ستري كيف أنك لا تذكر بدقة شيئاً عن سنوات الحرب ورُصاصها ودمائها ورائحة التراب والبارود والفحم في الجو والعثرات الكثيرة في الطريق. كل هذا ستجده في شيخوختك قد توارى إلى خلف الذاكرة، بالمقابل ستذكر بوضوح صوت أصابع الفتاة على البيانو والمقطوعات التي كانت تتدرب عليها، بل سيمكنك بقدر من التركيز التمييز بين تلك المقطوعات التي كانت تعزفها يوم الأحد وتلك التي تعزفها يوم الثلاثاء، أو تلك التي لعبتها في بداية الحرب، والتجارب والكونشيرتوهات الكاملة التي أخرجتها في نهاية الحرب وإذا كان لديك الخلفية الموسيقية اللائقة ستميز تقدمها من هيندل وباخ إلى العصر الكلاسيكي ووصولاً للرومانتيكي.

وإذا كان ذهنك بكامل طاقته، سوف تمر كل المقطوعات التي لعبتها الفتاة أمامك مكتوبة ومسموعة، وحينها سوف تسمع بوضوح تلك النغمة التي صدرت من ضربة أصبعين فأشعلت الحرب، وتلك النغمة التي صدرت من ثلاث أصابع

ترتيبٍ خفي فهبطت برداً وسلاماً على المنصتين ومن بقي
منهم من الأولين وآخرين بإيمان ليوم الدين.

Leaving just a memory Snapshot in the family album

كثرت أعداد الصور الفوتوغرافية حتى لم تعد هنالك ألبومات تتسع لاحتوائها، فاستقر عدد ضخم من صور أسرتنا في أطرف صفراء باهته مركوناً داخل دولاب ملابس أمي. ما هي أهمية دولاب ملابس الأم إذا لم يحتو المصدر الأول والمقدس للتاريخ الملكي والعائلي.

غالبية تاريخ طفولتي الموجود بذاكرتي يقبعُ في وعيي مشوش مُختلط بالحقيقة والتخيلات، مثلاً كان لدى مجموعة من القطع البلاستيكية لعدد من الحيوانات تُشكل معاً حديقة صغيرة، وكانت أمي غالباً ما تضع تلك القطع في شنطة بلاستيكية عليها صورة لأحد مباني عمر أفندي وهكذا تصير حديقة الحيوان في ذاكرتي عمر أفندي، ويصير عمر أفندي في ذاكرتي حديقة حيوان.

لذا أمام هذه الفوضى، لا أجد مصدراً موثقاً منه لقراءة التاريخ غير دولاب أمي، هذا إذا تعذر العثور على أمي شخصياً.

* * *

تعالى يا حلوة واسمعي مني..

بيتُ البنت مُتدربة البيانو كان مُقابل بيتنا بمقدار انحراف بسيط، وفي نهاية شارعنا كنا نري شارع الكورنيش الذي يعج بالسيارات وبعده يرتمي البحر الأزرق جثة مألحة مُتعفنة لا تتوقف عن إفراز رائحة اليود، ومن الناحية المقابلة للبحر يمتد شارعنا طويلاً حتى يضيق في النهاية مثل ذيل تين لينتهي بجدار مُرتفع، وعلى طول الشارع اللاهوائي تتفرع منه عشرات الشوارع الصغيرة لكن جميعها مثل خطوط الكف ينتهي بحارةٍ سد.

قبل زمن الحرب، وزمن مُتدربة البيانو كان الشارع يبدو بالنسبة لنا أوسع مما يمكن لعقلنا إدراكه، يشبه الشارع إلهاً ذاهية لا يمكن تخيل مدى ربوبيته، نخافُ كثيراً من التوهان في الشارع نتحسس الجدران ونترك العلامات ونعودُ للمترل قبل مغيب الشمس خوفاً من الضياع أو الكلاب أو العفريت. مُدركين جيداً أن هذا الشارع ما هو إلا جثة تين مُحترق.

أه شارعنا الإله الجبار، بدايته حارة سد ونهايته جثة بحر وبينهما كمثل أثر.. جثة تين، وفي زمن الحرب منه ترتفع

أصوات خفيضة لأصابع تلميذه مُجتهدة تدق البيانو. أي إله
كان هذا ليث كل هذه الحياة في جثة تنين.

* * *

خرجنا في يوم وقت العصاري، الشمس مكسورة العين،
والرياح طرية باردة، أخذنا نسير معاً، هو مُمسك بيدي ولم
يكن قد بدأ في حمل عصاه الخشبية بعد، سرنا طويلاً في
شوارعٍ و ممرات لم أعرفها لكنني لم أتعب أو اشعر بالوهن،
جلبابه كان أبيض وصندلي جلديّ بني اللون أتذكر ذلك جيداً
كأنه الأمس.

تخطينا العمار وأمام عيني لأول مرة في حياتي كان يمتد
الخضار حتى زرقة السماء، حقول واسعة تشققها ترع وقنوات،
وهنا أو هناك ذابة أو بهيمة ما. ومن بعيد رأيت عم أحمد
صديقه المقرب والأثير لقلبه يأتي بجسده الغليظ الأسمر الضخم
وملامح وجهه الصلبة الطينية وابتسامته البيضاء كل هذا
ملفوفاً بالجلبابِ البني الفلاحي تُحيطه هالة كأنها هو فيلم
لتاراتينو.

وها أنا أعود للضياع، والجدار الفاصل بين الحقيقة والخيال
يسقطُ مني ثانية، وأخلط بين فيلم لتاراتينو وعم أحمد

وحلباب جدي الأبيض... نفس عميق.. مرة ثانية لنركب
الكاميرا

ها هو عم أحمد يحملني ويده الخشنة المُتَشَقِّقَة تقرصني في
خدي. الشمس في طريقها للغروب جدي يركبُ الفرسَ
ويُجلسني أمامه، يمشي الفرسُ ويجواره فرس أحمد، كل شيء
الآن يقترب من اللون البرتقالي وعيني تصير أضعف، الذكري
تضيع وتتشوش، وليس هناك من صور ولا خزانة ملابس
يمكن أن استعيد بها الغائب.

But in the town, it was well known
When they got home at night, their fat
and
Psychopathic wives would thrash them
Within inches of their lives

الفروق بين البشر قائمة على تاريخهم، والتاريخ قائم
على الجغرافيا، أنا تربيت في أكثر من مدينة، صغيراً جربت
المشي على الرمالِ والمشي على التراب، والجري على
الإسفلت، وحتى الآن لم يحدث أن انشرخ أسفلت المدينة تحتي
لأهوي للقاء.

وفي كل تلك البيئات والقفز على حرائط الجغرافيا
حافظت على جموحي، شككت دائماً في كل من حولي،
وأمنتُ أني مُراقب طوال الوقت وكل من حولي يؤدون أدواراً
كُتبت لهم. فتحتُ عيني كل صباح وأنا أتوقع أن أجد نفسي
في مكانٍ آخر غير غرفتي، مخطوفاً من سفينة فضائية، ضائعاً
في متاهة رمنية، مُحارباً مُقنعاً في الشوارع وفي كل مرة كنتُ
انطق دعاء النوم وأستلقي على جانبي الأيمن ومع ذلك لم
تتوقف العفارية عن القفز حولي، و لم يهدأ جموح خيالي
أبداً.

في يوم قارص البرودة وقفنا طابور الصباح في المدرسة،
مُثقلين بحقائبنا تسحبنا لأسفل جاذبية النوم المتدلية من أعيننا،
مُدس ما أصابته اللوثة وانطلق يضرب في كل الواقفين مُعتقداً
أنه بذلك سوف يقوم بتسوية الصفوف، كان منظره مثل
عسكري هائج يرتكب مذبحه في لوثة الحرب، يتحرك في
سرواله البني الذي أذكره جيداً، وصلعته الخفيفة التي تشبُّ
على استحياء و ملامح وجهه المُقزز، دون أن أدري انخبت
على من بجوارِي و همست ((تخيل الأستاذ في مايوه حريري
بمبي من قطعة واحدة)).

مارست طوال الدراسة هذا الفعل.بمُنتهى الاستمتاع،
أري الأستاذ يبولُ على نفسه في مكان عام، أو يرقصُ على
الشاطيء في مايوه أحمر من قطعتين، أو يلحق فرجاً مُغطى
بالشعر لأنثى مُكثرة كخترير، أو يرقصُ مُرتدياً بدلة رقص
شرقي.

فعلت ما هو أكثر من ذلك، نَظمتُ خلية سرية صغيرة،
واستولينا على المدرسة، قدتُ أول ثورة طُلابية،احتجزنا
المُدرسين وقمنا بمُحاكمة مجموعة بتهمة إساءة مُعاملة زملاء
لنا، رفضنا فتح البوابات، وهددنا بتفجير المكان باستخدام

أنابيب الغاز، وبعض المواد الكيماوية في المعامل، تكررت الثورات في عدد أكبر من المدارس، في خلال ثلاثة أيام فقد الأمن كامل سيطرته، خرجنا من المدارس وكنت فأتحاً ومُنظراً ونبياً عظيماً.

All in all it's just another brick in the wall.
All in all you're just another brick in the
wall.

مهما حَدَّثتكَ عينك، فلا يوجد ما يُضَاهِي نشوة ارتطام
الهواء بالوجه من خلال سيارة مفتوحة الشباك، تنطلق بأقصى
سرعتها على طريق بلا سيارات ومن الناحيتين سلاسل طويلة
من الجبالِ ورمالِ الصحراءِ ونباتات جافة تظلل الأسفلت.
ثمّة رَابطُ أبدى في وعيي بين النّشوة والسرعة وارتطام
الهواء في وجهي، بين كل ذلك والتماهي مع ذاتي وإحساسي
أنى ملك في الأعلى. كنت أركب دراجتي الحمراء وانطلق
على الأسفلت الناعمِ ابذلُ جهداً خرافياً في تحريك البدالات
حتى استشعر الهواء على وجهي، ارفع خصري، و أناور
السيارات، ابتعد عن البلاعات وكل ما قد يهدئ من سرعتي،
أصرخُ بأعلى صوتي حين أصل لأعلى مراحل السرّعة،
ويحدثُ فجأة عند هذا النقطة، أن اصطدم بعثرة أو جدار أو
معدة تين. ارتطم بالأرض، تَنجرحُ ركبتي يكشط جلد
كوعي تُصَابُ عظمةُ ما من عظامي بكدمه وتتوقف العجلة
عن الدوران.

في الجنس أيضاً تتوقف العجلة عن الدوران لكن ذلك يكون بسلام بعد وصول النشوة لأعلى مستوى لها، تهدأ في القمة ثم تبدأ في الهبوط، هكذا الأمر في الجنس، لكن في ركوب الدراجة وفي نشوة ملامسة الهواء لا يوجد سقف للنشوة لذا فبالإمكان الاستمرار إلى الأبد في التبديل بأقصى سرعة.

نشوة الجنس بسقف واحد مهما تغيرت الوسائل فإنها تنتهي به، لكن نشوة الهواء وركوب الدراجة بلا سقف إنها النشوة الكونية التي لا تنتهي وإلا كان الكون قد توقف منذ زمن عن تحريك البدال والاستمتاع بملامسة الهواء.

كثيراً ما كان ذهني مشغولاً "لماذا خلق الله العالم"، كان هذا سؤالاً أبدياً، وجدت إجابته ذات مساء في منزل الجبل عارياً ناظراً للسقف بعدما مارست الجنس معها... فعلى السقف الخشبي رأيتُ الله يُركب دراجة كونية مُطلقاً بأقصى سرعة. نشوة كونية لا نهائية فوق دراجة سرمدية. هذا سبب مُقنع لرغبته في خلق العالم أكثر من صورته كولدٍ لاهٍ يلهو بالمحرات و الثقوب السوداء.

* * *

في الحصصِ الدَّرَاسِيَةِ المُؤَمَّلَةِ بِشَكْلِ يَسْمَحُ بِإِطْلَاقِ
الخيَالِ، جَرِبْتَ "المجد". و استشعرت العظيمة.

في سَاعَةِ الصَّفْرِ، سَيَنْطَلِقُ الْجَمِيعُ خَمْسَةَ عَشَرَ طَالِباً مِنَّا
يَقْتَحِمُونَ غُرْفَةَ النَّظَرِ، وَيَحْتَجِزُونَهُ، وَاحِدٌ سَيَقْطَعُ سَلْكَ
الكهربَاءِ أَوَّلَ دُخُولِهِ وَائْتَانِ سَيُغْلِقَانِ الْبَابَ مِنَ الْخَارِجِ وَيَقْفَانِ
أَمَامَهُ، وَثَلَاثَةٌ آخَرُونَ سَيَقْفَلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَبَاكاً فِي
الغُرْفَةِ وَيَقِفُ لِيَحْرُسَهُ بَيْنَمَا الْبَقِيَّةُ سَتَقُومُ بِتَقْيِيدِ حَرَكَةِ النَّظَرِ
وَرِبْطَةِ بِالْخِيَالِ، وَقَائِدُ الْمَجْمُوعَةِ سَوْفَ يَضْغُطُ عَلَى زُرِّ الْجَرَسِ،
وَحِينَمَا يَنْطَلِقُ الْجَرَسُ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، يَنْطَلِقُ الْجَمِيعُ فِي بَحَامِيعِ
مِنْ ١٢ فَرْداً كُلُّ مَجْمُوعَةٍ مَهْمَتُهَا تَقْيِيدُ حَرَكَةِ وَاحِدٍ فَقَطْ مِنْ
المدرسين. كل خطوة ستنفذ بدقة و احترافية عالية، ولا مجال
للخطأ.

لكن لأن نسبة النجاح كانت أوهن من خُطى الخيال فلم
نخطط بدقة لما بعد ذلك فجري ما حاولت دائماً الهرب من
التفكير فيه؛ في أثناء المُحَاكِمَةِ ضَغَطْتُ جَمَاهِيرَ الزَّمَلَاءِ لِإِعْدَامِ
النَّظَرِ وَطَاقِمِ التَّدْرِيسِ كُلِّهِ، وَهُوَ مَا عَارَضْتَهُ بِشَدِّهِ، لَكِنِ
التَّغْيِيرَ الْكُلِّيَّ لِرَغْبَةِ الزَّمَلَاءِ كَانَ مُسْتَحِيلًا، لِذَا فَبَعْدَ
مُشَاحَنَاتٍ، أَصْدَرْتُ الْمُحْكَمَةَ حَكماً بِإِعْدَامِ النَّظَرِ وَطَاقِمِ

التدريس الذي ثبت تورطه في جرائم كراهية. كنت أحلم بثورة بيضاء تستهدف تغيير النظام لا معاقبة الأفراد، لكن صوت زملاء كان أعلي، ورغم أني كنت الزعيم لكن لم تكن تلك الثورة لتقوم لولا إيمانهم وتضحياتهم.

هكذا وقفت على منصة العلم في باحة المدرسة، وقمت بإنزال العلم وإحراقه - رمز سلطة النظام التي استبعدتنا نحن التلامذة لقرون - أمام الجماهير التي وقفت تُصفيق وتصرخ بجنون، ثم تدخل مُساعدتي ورفيقي في الكفاح - لا أعرف من سيكون لكن كل القواد العظام لديهم واحد - أمسك مكبر الصوت هتف بصوت عالٍ يعيش نضال التلامذة.. يعيش نضال التلامذة، بينما كنت أنحن لتصفيق زملاء وأنا في قمة التأثر من مشاعر الفرح البادية على وجوههم، مُدركاً أني أنا السبب في هذا الفرح أنا المُفكر والمُخطط لكل ما حدث، ومَناح البهجة والفرحة لكل تلك الجماهير من زملاء ومتوجههم بالحرية، والمتوج بالمجد والعظمة.

Mother, did it need to be so high?

أول رصاصة في الحرب تدخل شارعنا كانت من نصيب محل الجواهرجي المُقابل لمدخل بيتنا، لم تُلحق به خسائر سوى ثقب بسيط في العمود الخرساني المجاور للباب. وحتى الجواهرجي لم يهتم بذلك الثقب أو معرفة مصدر الرصاصة، كان يأتي كل يوم في الساعة السادسة ماعدا الجمعة يدخل الشارع بسيارته الفيات الرمادية، يوقفها أمام المحل، يخرج شعره الكثيف الناعم الملون بالأبيض والأسود وخاتمه الذهبي المحلى بفصٍ أخضر، يدخل المحل الصغير ويرتب البضاعة بشكل مُبتكر ويعرضها في النافذة ثم يقف ليدخن سيجارة.

وفي وقت كهذا من على سطوح بيتنا تكون الشمس في وقت غروبها أبداع ما تكون. انتظر قدوم الجواهرجي لأصعد إلى السطوح أراقب غروب الشمس، أظل أضيّق ما بين عيني وأدقق النظر في الشمس في أضعف حلاتها على أمل رؤية التنين أو أثره المغرورز على سطح الشمس.

في أحد تلك المرات كنت اصعد درجات السلم في اتجاه السطوح حينما تعثرت، ووقعت على ركبي وجرحت. كتمت صيحة ألمي لكنني هبطت في غضب نزلت الشارع،

وجدت الجواهرجي يشير لي بيده، طلب مني أن أملاً له
زُجاجة المياه وحين دخلت المحل لأخذ منه زُجاجة المياه
وجدت في الخلفية صورة له بالرداءِ العسكري مع فخامة
سيادة الرئيس.

* * *

حينما صرت في سن تُسمح بحمل رُخصة قيادة، كانت
الحرب قد انتقلت لجنوب البلاد وساد هدوء نسبي في الجبهة
الشمالية والمدن الساحلية ومنها مدينتنا، وكان لدى سيارة
أوبل خضراء صنعت سنة ميلادي، أقودها وأنا فاتح كل
الشبايبك، وبجوارى جميلة المُحيا تمد قدميها من شبايبك
السيارة في وجه المارة ونحن مُتجهين إلى كوخ الجبل، حيث
ستسبقني لإعداد فنجان من القهوة، وسأسبقها أنا لفتح
زجاجة النبيذ لأمنعها من شرب القهوة التي تدمنها، تنام على
ركبتي وهي تُشاهد الرسوم المتحركة، وتفتحُ الدولاب لتُشاهد
صورها التي أعلقها لها.

تقول إن رائحة الدهان الجديد تخنقها، فنجلس في
الحديقة، ننظر في عيني، فأحكي لها عن نوع المخدر الجديد

وكيف لم يعجبني، تقول إن شكلي بنظارة النظر أفضل منه بدونها، كنت أدرس علم النفس وقتها بإزادتي الحرة وهى كانت تفعل شيئاً ما لا أذكره الآن، لكنها كانت تحب الروك والجاز وأن تتحدث طويلاً عن السينما والأدب، وقبل النوم كانت تصر على غسل أسنانها بطريقة لا ماجا.. تمسك المقص، وتقطع الجزء الخلفي من أنبوب معجون الأسنان تضغط عليه برفق فينساب المعجون على الفرشة من الخلف، حينما كنت أسرح في سقف الغرفة الخشبي في منزل الجبل ونحن عاريان على السرير، كانت تمد يدها وبلمحة تزرع شعرةً من إبطي.

أكون وقتها أفكر في أختي التي سافرت مع زوجها هرباً من الحرب، لكنهم ماتوا بحادثٍ سيارة، وأخي الذي وقعت عليه صخرة فرقد في غيبوبة لأشهر وخرج منها مُصاباً بما يشبه اللثة عاجزاً عن حل ولو مسألة رياضية، كنت أفكر أيضاً في الحسنه التي تقبع على صدر جميلة المحيا، وفي شعرها الأشقر الطويل، كنت أحسد نفسي طوال الوقت عليها. وحينما كنت أفتح الدولاب وأشاهد صورتها فوق الدراجة النارية بالشورت والتي-شيرت الواسع كانت فكرة أن هذا الجسد وهذه الجميلة تُحبنى وتهبني نفسها تشعرني بالنشوة التي

كنت أحسها شرارة كهرباء على طول ظهري. ووقتها كنت أتسلل إلى المطبخ الأخضر حيث تقف هي سَاهمة تعد الشاي وتغسل الأطباق فأعانقها مُقبلاً جبهتها، وأري نفسي ملكاً في الأرضِ.

* * *

دخلتُ لأمي مَجْرُوح الرُّكبة، أحمل زُجاجة مياه فارغة وأطلب ملاًها لعمو الجواهرجي، نظرت لي في هلع ثم شدتني وأجلستني على حجرها، سألتني عن سبب جرحي، أحضرت مُظهر بلت قطعة شاش به ووضعتَه على الجرح فصرخت من الألم.

لم يؤلمني الجرح بقدر ما ألمني الشاش المغموس في المطهر الذي وضعته أمي، تلويت وحاولت التملص منها، لكنها كتفتني وأعافت حركتي، كنت مسجوناً تحت التعذيب بقطعة شاش ويد أمي الحانية. يدها الطيبة التي دائماً ما كانت تظهر مُساعدتها وطيبتها في اللحظات غير اللائقة.

كانت يدها تتسلل إلى أدراج مكثي، وتحت مرتبة الفراش والوسائد تتعقب آثار حركتي، وكنت أدرك دائماً أنني

مهما فعلت فستعلم هي في النهاية، ولفترة طويلة لم يكن هذا
يُضايقني، فكثيراً ما كان يحدث خصوصاً وقت الحرب، أن
أشاهد من نافذة حُجرتي طائر الرخ يخلق وفي محالهِ سقف
حجرة أو قطعة لحم من جسد ولد، فأجري مفزوعاً أبحث عن
جناح أمي و يدها أسلم نفسي وأتعري من كل أسراري
لأغوص في لحم أمومتها مطمئناً للسكينة.

كانت تأخذني في تلك الليالي وتُدثرني بجوارها على
السريِر، أحس بالأمان من دفء جسدها، وذراعها التي
تحوطني... أسكن ويهدأ تنفسي وينتظم، لكن بعدها ابدأ في
الاختناق من حرارة الفراش و هواء تنفسها وذراعها التي
تُقيدني بثقلها.

* * *

كنت نائماً بجوار جميلة المُحيا. حينما انتفضت من مكاني
مُستيقظاً، وقد رأيت ذلك الحلم القديم عن نفسي صبيّاً يرتدى
الشورت الأزرق ويغرق في بطاء بحمام السباحة، أبتلع المياه و
ذراعي تتحرك في عشوائية، أستنشق المياه ويضيق نفسي
وأشعر بحركة عضلاتي تضعف وتيار مائي خفيف حلزوني

يسحبني للأسفل، ثم يتلون الماء بلون الدم ويصير أكثف
فأكثف، أما أنا فأهوي ..أهوي أكثر
وأستيقظ أفهج من التعب، أطبع قبله على صدر جميلة
المحيا وأنام.

Goodbye, blue sky.
Goodbye.

بالطبع لن يستسلم المازوخيون الأشرار بسهولة، ورغم أن امتداد الحركة الثورية قد انتشر في كل المدارس ونحطى الأسوار ليصل إلى السيطرة على أحياء كاملة، لكن كنا نواجه بإخفاقات في الكثير من المعارك. كنت انتقل من مدرسة لمدرسة ومن ساحة معركة لأخرى، وأعمل على تنظيم عمليات الاتصال بين كتائب الزملاء في كل المدارس، وتدربت بسهولة على حمل السلاح الذي أصبح هو الصوت الأعلى في كل المعارك للأسف.

كان ترديد اسمي فقط يكفي لرفع الروح المعنوية، ووجودي في مكان يثير جنون وحماس وحمية جميع الرفاق، كنت زعيماً بحق وسحابة المجد تتبعني أينما وضعت قدمي، وعدد من يتبعونني يتزايد بشكل مُطرد لا ينتهي، كني يشر بالقيامة ويحمل ديناً جديداً، وبين طلبة المدارس يزداد العدد باستمرار ليلحق بهم بعد ذلك طلبة الجامعات.

حدثت الكثير من الحوادث المؤسفة والجرائم التي يجب علي الجنائين أن يندموا عليها، يجب الاعتراف بذلك، كثيراً ما كان الابن يُحارب أباه أو يتخلى عن أمه، وقدم زملائنا

هؤلاء الذين ارتكب آباؤهم جرائم كراهية مثلاً مُخلصاً في التضحية والولاء والإيمان بعائلة قضيتنا. التضحيات التي استمروا في تقديمها لسنوات طويلة طوال الحرب.

في هذا السنوات، وعلى نار المعركة نضجنا نحن الجيل الأول المُشعل لنيران الثورة، نضجنا على مستوي التجربة الإنسانية، والجسدية، وكانت الأرض لنا مرتعاً للمرح خضنا فيها حَامِلين البندقية، وبعد فترة اشتد الضغط على الثورة الوليدة، وبدا كأن أسلحتنا أضعف من تحمل كل تلك النيران، حينها بدأنا في تغيير نمط الحرب، ثم ظهر طائر الرخ!

سلاحنا المُبتكر الأول. طائرات سوداء كبيرة ذات قدرة عالية على المناورة تُحلق مُستخدمة تقنيات طائر الرخ في التحليق. فبدأ ميزان القوة يميل لصفنا، ثم ظهر العملاق "ماكفير".

مُنجزنا الحضاري الأهم، ماكفير... مولد نووي يعمل بطاقة لا نهائية، حوامة طائرة يُمكنها الانفصال والاتصال بالدماغ الإلكتروني الكهربائي، صواريخ بترونية في الساعدين، أشعة كونية تنطلق من أصابع اليد، أشعة جاما وألفا تنطلق من الصدر، قدرة على الطيران من خلال المُحركات المحمّولة

على الظهر، أشعة ليزر حارقة من العينين، قدرة على الغوص إلى الأعماق البعيدة من خلال التورينيات المثبتة في القدمين، شكل انسيابي جذاب مع حزام بلاتيني كل هذه الروعة مع غلاف من التانيوم المُقوي المضاد للصواريخ والقادر على تحمل أقسى درجات الحرارة وأشد الضغوط.

ولأني قائد الثورة المُحاط بهالة المجد ونشوته والبطل الخفي، فقد كنت المسئول الأول عن ماكفير، أتلقى الإنذار أو إشارة الاستدعاء السرية على ساعتي الإلكترونية التي تعمل كجهاز اتصال وتوجيه متطور، لأنطلق بعدها حتى أصل إلى الحائط السد الممتد لزرقة السماء في نهاية شارعنا، أبرز البطاقة الإلكترونية، فينكشف الممر السري. أجري فيه فالحالة طارئة وبسرعة أرتدى ملابس الحربية بدلتي ذات الطابع الأسطوري الموشحة بنقوش كلتانيه وسريانيه، أركب الحوامة الطائرة، أضغط الأزرار بالترتيب السري ((انطلق))، أحلق للأعلى حتى أصل للارتفاع المناسب في قامة ماكفير، ((ماكفير استعد))، أعدل وضعي التناسبي وأنزل الذراع الحمراء على يميني، ((ماكفير.. التحاالم)) دووم. تلتحم الحوامة بفراغ الرأس ((ماكفير.. انطلق)) فتلمع عيون ماكفير

بوهج الحياة ويرفعُ ذراعيه، يُرجع مساره للخلف. ((انطلق)).

ينطلق ما كفير

إلى النهائية وما بعدها سنخلص العالم من كل الشرور،

انطلق ما كفير

* * *

ما كان يجب أن تفعلني هذا يا جميلة المُحيا، ما كان

يجب.

الغريزةُ أو ماذا تملكته الرغبةُ لببلة
بُرج بابلِ

What shall we use
To fill the empty spaces
Where we used to talk?
How shall I fill
The final places?
How should I complete the wall?

وضعت أمامي زُجاجة البراندي نصف المُمتلئة—نصف
الفارغة كي لا أفقد المعنى—وسبعاً وثلاثين قرص دواء
زهري اللون. لا أعرف نوع الدواء حقاً، ولكن لا بد أنه في
عمر فتاة مُراهقة الآن، فقد مر وقت طويل منذ أن بيعت عبوة
المائة قرص لأي دواء بخمسة عشر قرشاً.

هل هذا ما أريده فعلاً؟ لا يتوقع الجميع من شخص على
وشك أن يُنهي حياته أن يفكر في مؤانسة الحيتان.

* * *

لم أستسغ، أو أرغب في تربية أي نوع من الحيوانات.
وهو النفور الذي أظن أنني ورثته عن جدي الذي رفض في
فترة أن يُربي أبي كلباً. جدي الذي قضى آخر أيامه مُستلقياً

على فراشه غير قادر على الحركة من فرس الوهن والضعف الذي أصابه.

كان يستلقي معظم الوقت على السرير صامتاً ساهماً بملامح أسطورية تجعلك غير قادر على مجرد التخمين فيما يفكر؟ فيما يفكر هذا العجوز الذي لم يتعد الثمانين؟ هذا الذي حفظ مئات الأبيات من الشعر، وخضع للعلاج النفسي أكثر من مرة وشرب الحشيش ورفض العمل في الأرض فعمل خفياً وتزوج صغير السن وأنجب من الأولاد خمسة، وفي سن الخمسين اعتزل العمل ليستمتع بمعاشٍ قليل وتمشية في العصاري على البحر، وقزقة اللب في المساء بصحبة زوجته. جدي قصيرة القامة الصامته المتحدثة بمقدار ما يسمح به ناب التنين، والتي تنام مبكراً وتصحو مع الفجر لتموت قبل جدي وتركه في وحدة وعزلة لم يفلح الأبناء والبنات الخمسة في جعله يتخطاها أو يهدم جذرائها.

قبل موتها بأيام كانت بأفضل حال وأحسن صحة، بينما كان هو تؤلمه كليته، وتتعبه مفاصله والمشي خطوتين يجعله يدوخ مُنهراً، يبول في فراشه والمحاليل وأكياس الدم موصله بذراعيه لكنه رفض الخروج من منزله، ارتفعت درجة حرارتها

هي وأصببت بحمي كانت فيها تَهْتَفُ باسمِ ابْنِها الذي أَكَلته الحرب. وبعدَ يومينِ أُسَلِمَت رُوحُها، أَحْضَرُوها من المِستَشفى جِثَّةً مُتَفَخَّةَ المِعدةِ قِصيرةَ القامةِ خفيفةِ الِوزنِ وضَعوها في غِرفتهِ و بَكَى صامِتاً عَاجِزاً، لَمْ تَعْنه القوي أن يَحْضِرَ جِنازَتَها. جِدي قِصيرةَ القامةِ المُتَحَدِثَةُ بِمِقدارِ ما يَسمحُ بِهِ نَابُ التَّينِ.

أحياناً كان يلمحني عابراً من أمامِ غِرفتهِ فينِدُه علي ويطلبُ مِنِّي أن أوضِّعهُ، ثم يَعودُ لِخَلْفِ جِدارِ عِزلتهِ ثانيةً، وفي لِحْظَاتٍ كَثيرةٍ كُنتُ أشعرُ بِالشَّفَقَةِ اتِّجَاهَ وِحدتهِ، أَحْاولُ أن أمدَ يدي إليهِ، أن أروحَ عنهُ، فَاجلسُ بِجِوارِهِ اذْكَرهُ بِقِصيدةِ ما، لكنهُ يَهْمهُمُ بِكَلِماتٍ قَليلةٍ وَيصمُتُ، أسألهُ عَن رَأْيِهِ في كِذا، فيشِردُ بِنِظَرِهِ بَعيدِهِ.

أَتَذْكَرُ تَمْشِينا مَعاً رِكوبنا فِرساً واحِداً ذاتِ عِصريةِ نَاعِمةٍ، التِواصِلِ بَيْننا، أسماءُ الدَلعِ التي أَطْلَقَها علي، كلُّ هِذا كان يَضِيعُ والجِدارُ يَنْهَضُ عَالياً دونَ أنْ أُسْتَطِيعَ كِسرَهُ والِوصولِ إليهِ، أو حَتى الضِغْطِ علي قَلْبِي والتَّخْلِصِ مِنَ عَاطِفتي اتِّجَاهَ إِكْمالِ الجِدارِ الفَاصِلِ بَيْننا، كُنتُ عَاجِزاً عَن إِكْمالِ الجِدارِ أو شِرخهِ ولو بِبِصيصِ ضِوءٍ. جِدي كان يَسِبحُ

بعيداً تحوطه هالة الشمس الصفراء وقد سطع نقش التنين في * قلبها.

* * *

تفرحُ جميلةً المحيا كثيراً حينما تكتشف أننا نقوم بأمر ما بنفس الطريقة، أو أننا قد مررنا بتجاربٍ مُتشابهة أو واحده في الصغر. كانت مجنونة بروايات لكاتب تافه تتحدث عن الإشارات والعلامات التي تقود روحنا في متاهة الاختيارات بالحياة.

حدثتها مرةً بأبي في صغري رأيت نقش صورة التنين في قلبِ الشمس، ففغرت فإها مُندهشة، وأمسكت يدي ونحن نتمشى في الممر الجبلي وَقَالَتْ ((والله!!))، اعتبرت ذلك علامة كبيرة وتحدثت لحوالي نصف الساعة بأن نقش التنين يعتبر من النقوش المُقدسة وذلك الشخص المُختار الذي يتجلى له النقش في قلبِ الشمسِ إنما هو منذور لغرض عظيم، عانقتني وهى تحكى لي عن عاشور الناجي الأخير وكيف رأى نقش التنين في قلبِ الشمسِ بعد مُجَاهدة طويلة مع النفس لتجلى أمامه الرؤية وليوفي النذر المُندور على أجداد حارتهم القديمة. وحين انتهينا من الترهة، وصلنا لكوخِ الجبل الخشبي، قالت

وهي تستند على كتفي ويدها الأخرى تلعب بشعرها ((إذا
كنت قد رأيت فلا بد أنه يمكنني رؤيته، الأمر فقد يتطلب مني
مُجاهدة صغيرة مع النفس كأن أمتنع عن القهوة لأيام))
وضحكت ضحكتها البيضاء. وأنا نسيت أن أخبرها أبي فقط
سعت لرؤية النقش في صغري بحثاً عن تين صديق يوانس
وحدتي.

"Congratulations, You have just
discovered the secret message

Where are all the good times?
Who's gonna show this stranger around?
Ooooh, I need a dirty woman.

كأني قد أثقلت من شرب البيرة، العرق قليل على جبهي
يتفصد ببطيء من جسدي، بينما أنا واثقٌ من نفسي ومن
العطر الذي رششت به جسدي قبل الخروج، جالساً في بارٍ
واسع زُجّاجي الجدران في المدينة الكبيرة التي انتقلت إليها
لإكمال دراستي الجامعية بعدما تعذر ذلك في مدينتي لظروف
الحرب.

أشعلتُ سيجارةً بولاعة فضية ووضعتها على الطاولة،
كنت أرتدي بنطلون جيتز أزرق وقميصاً أبيض وحزاماً
أرجنتينياً جلدياً أسود مصنوعاً من مستخرجات وحيد القرن،
وحيداً على طاولتي سارحاً في وجوه من حولي الذين كانوا
يجلسون في شكل مجموعات متألّفة.

شباب أصحاب وصبايا منطلقات، خلعت الساعة الفضية
الثقيلة من معصمي ووضعتها على الطاولة بجوار الولااعة،
تناولت حبة ترمس وقذفتها في فمي، كان البار يطل على
ميدان قدم ومن مجلسي كنت أرى الشّارع والميدان في مُقابل

وجهي من خلال فراغ الباب المُفتوح، بينما بقية النوافذ
الرُّجَاجِيَّة قد ألصق بها ورق حَائِط يشوش الرُّوْيَا. مُهْتَاجاً
رحت أتأمل أجسَادَ النساءِ حولي، وأشعر بمشكلة ما بين
فخذي، طلبت زُجَاجَةَ بيرةٍ وصرفت تركيزي إلى صورةٍ
مُعلَقة فوق باب البار، لرجل يرتدي طربوش أحمر وله وجه
منتفخ بالشحم وجليباب كحلي واسع الصدر، شفايف رقيقة
وردية مُرهفه وشنب أصفر مُحدد بعظمة، ومن تحت
الطربوش لك أن ترى من الجانبين بعض خصلات شعره
الأشقر.

ركزت بصري أكثر في الصورة حتى قطع مجال رؤيتي
النَّادِل الذي أتى ووضع البيرة أمامي، رفعت الرُّجَاجَةَ نحو
شفتي وأغلقت عيني لا إراديّاً وأنا أتذوق الشربة الأولى من
الرُّجَاجَةَ، حين فتحتها كنت في متزلّ ليس بمتزلي ولا أعرفه،
سكراناً حولي ناس لا أعرفهم وموسيقى مُزعجة تملأ الجو،
وفتاة تُلصق شفثيها بفمي وتقبلني، مع إضاءة خافته تأتي من
الزوايا، نصفي العلوي عار، ويدها تتحسس كل بوصة فيه،
أنا سكران ومتعب لدرجة أن تبادل قبلة معها فعل مُرهق،
لكن ها هي ترفع بلوزتها وتُعرّي جزءها العلوي وتحتضني من

جدید وهي تعلق باندفاع رقبتي، وفي مُقابل نظري كانت
هناك مكتبة عريضة تمتلئ بالكتب وفي أحد أركانها صورة
تبدو مؤلفة لي، جالساً على كنبه ناعمة وثيرة لونها أحمر،
وضعت لسانها على طرف أذني بينما أنا شددت عودي
ومشيت أصابعي على ظهرها فانتشت، كانت هناك وجوه
كثيرة حولي لكني لم أكن خجلاً بل في الضوء الخافت ميزت
أجساداً أخرى تفعل ما أفعله، وصلت أصابعي إلى حد
سروالها الجيتر فدفعتها لتسلل إلى كفليها، قبلت كتفها
وهمست في أذنها بكلمة ما ثم أرحت شفتي على رقبته،
صدحت أغنية قديمة وموسيقى أحبها، رفعتها من كفليها
لأقربها مني والجيتر يعيق حركة يدي بحرية، مع صوت اللحن
و طعم عرقها و ملمس جلدها أغمضت عيني، وحين فتحتها
كنا ما زلنا على وضعنا لكن جالسين على صخرة فوق قمة
جبل صخري عال، تحتنا بمئات الأمتار أرض صحراء حمراء
الرمال تمتد على طول البصر، وشمس في مراحل شروقها
الأولى، ورؤية ضبابية، هبطت بشفتي من رقبته لصدرها
ووضعت حلمة نهدتها الأيسر في فمي، تحللت أصابعها في
شعر رأسي، وخربشت أظافرها ظهري، ألقنتني أرضاً، وكان

الجو لا بارداً ولا حاراً، كنت غارياً تعتليني فتاة لا أعرفها،
فوق قمة جبل صخري نائماً فوق رمال حمراء، ناظراً للسماء
التي أخذت أكثر اللون الأزرق وحتوت ضخماً يسبح في
السماء. حوت أسطوري يبلغ طوله أكثر من ميلين يسبح
بمنتهى الرشاقة في السماء جلده رمادي اللون وفي مساحات
واسعة منه مغطى بطحالب خضراء وجروح عميقة لا تصنعها
سوي مخالب أو أنياب تنين.

وحين استيقظت في البيت الذي لا أعرفه، وجدتني على
الأريكة الحمراء مُمدداً غارياً إلا من ردائي الداخلي الأبيض
وعلى كتفي فتاة تستلقي بوخم، ورائحة بيرة ودخان سجائر
يزكم أنفي. أرحت رأس الفتاة على الأريكة واعتدلت
بجوارها جالساً؛ الصداع وضجيج الليلة يخبط في جنبات
رأسي، نظرت للمكتبة في أحد أرففها كانت هناك صورة
لوجه منتفخ بالشحم بشنب أشقر ويضع طربوشاً أحمر
وجلباباً بلدياً فلاحياً كحلياً.

رميت السيجارة في الأرض، حاسبت على البيرة،
وخرجت إلى ميدان المدينة الكبيرة.

Do you think it's time I stopped?
Why are you running away?

رأيت الناموسة تحوم في فضاءِ الغرفةِ، جسمها رهيف
وخفيف، جذبها في البداية ضوء الحجرة الأصفر، حلقت في
دوائر بدت بالنسبة لي موزونة وكاملة، ثم اقتربت لتهبط
بسلاسة على يد جدي الممدد على الفراش في جلبابه الأبيض
الخفيف عاجزاً عن الحركة ومنه تخرج قسطرة البول. رأيت
مبسم الناموسة الدقيق ينغرس في ظهر يده وسط الشعيرات
القليلة الباقية، شعرت بالحكة التي لا بد أنه يشعر بها الآن،
تمدد الشعيرات الدموية في المنطقة التي تمص منها الناموسة،
يتصاعد الاحمرار الخفيف والرغبة الغريزية في الهرش وحك
مكأها، ارتفعت الناموسة وحلقت بعيداً، تابعت يد جدي
وهو يحاول أن يحركها يميناً أو يساراً بينما ضعف قواه يمنعه
من محاولة تحريك اليد الثانية والهرش بها، ابتلع ريقه ونده
علي ((حركني على جنبي اليمين)).

حينما أحمله أو أحركه كنت أتخس عضلات جسده
فتبدو رخوة كأنها لحم رمادي.

* * *

نظرت أُمِّي للتلفاز وأنا أكلمها وبعدها انتهيت من حديثي لم ترد علي.

كان هذا ما يحدث دائماً حين تدرك أو ترى مني ما لا يرضيها تلتزم الصمت حتى آتي صاغراً طالباً رحمتها مُتجسدة ولو في كلمة واحدة منها، لكن هذه المرة اقتربت منها وجلست بجوارها بهدوء، نظرت في التلفاز كان هناك فيلم أبيض وأسود تظهر فيه مُمثلة ضئيلة الحجم ترتدي فستاناً صيفياً أصفر تتحدثُ مع مُمثلٍ آخر يرتدي بدلة كحلية ولديه شنب مُضحك يأخذ شكل حرف "T" مقلوباً، كان مشهد حب خفيف الظل بين الاثنين ويفصل بينهما بيانو.

المشهد ذكرني بالمرات القليلة التي ذهبت فيها مع جميلة المُحيا لمزل زياد، حيث كانت تجلس على البيانو وتُحادثني أو تعزف ما تعرفه من ألحان قليلة، بعضها كنت أطلبه أنا والبعض يطلبه زياد ويُشاركها العزف نفس اللحن على جيتاره كأن تغني مثلاً وهي تصرخ أغنية عن فأس تحتفظ به في غرفتها و إنسان مجنون لا يهتم بها.

الأغنية ذكرتني بأمي الجالسة بجواري صامته، غير مهمة
بما قلته، مجرد أن الرأي لا يُرضيها، أنا فقط رغبت في الطيران
يا أُمي أليس من حقي الطيران بمفردي؟

أليس من حقي أن أركب طائر الرخ وأحلق بعيداً عن
الحرب، أليس من حقي أن أقود ماكفير وأحطم كل ما هو
مُتَشَابِك ومُعقد ومؤلم ولا أراه، أليس من حقي أن أركب
دراجتي وأنطلق مُستمتعاً بالمتعة الكونية اللانهائية..وقفت أُمي
وخرجت من الغرفة دون أن ترد علي.

* * *

تأملت مرة ثانية زُجاجة البراندي نصف المُمتلئة/ نصف
الفارغة، قربتها من فمي و أخذت جرعة.

رأيتُ جَميلة المُحيا أول مرة تُتعرّف عليه في المقهى
البحري، رأيتُه ينظرُ لشفتيها وهي تأخذ نفساً من السجارة،
وهي تضحك وهي تتكلم بانفعال فيحمر أنفها، ورأيتُه
يُحدثها عن الحرب ويرفع لها قميصه من الجانب الأيمن ليريها
سلاحه ويبتسم ((لا يُفارقني أبداً)) الصديقة المُشتركة بينهما
سُتلمح نظرات الإعجاب في عينيه وحينما يقوم ليدخل الحمام
سُتبتسم لها وتغمز بعينيها وهي تقول ((أيوه يا عم)). لكن

جميلة ستهز رأسها وتبتسم هازئة وترد على صديقتها بأنه لطيف بعض الشيء لكن بالطبع ليس مثلي، حينما يعود من الحمام سيحكى لها كيف ذات مرة، كان مُحاصراً مع مجموعة من رفاقه في الجنوب، حينما كان هناك طائر رخ معدني كبير يحوم فوقهم ويستعد للهجوم، وكيف تمكنوا بقدر من المهارة والحظ من إسقاطه برصاص بنادقهم ((كنا يائسين لكن على ما يبدو رُصاصة من الرصاصات أصابت خزان الوقود فانفجر وسقط الرخ المسكين)) سوف تُشاركه التضامن وتلعن الفاشست، وتحكي عن ابن غمها الذي مات في بداية الحرب، وحينها سيتنهد هو ((أتمنى أن ينتهي كل هذا قريباً، على هذه الأرض ما يستحق الحياة)). صديقتها لن يعجبها سير الحديث ستلتفت له وتسأله عن الحفلة التي يقيمها غداً، سيرجع بظهره للوراء ((آه ستكون حفلة جميلة جداً، لازم تيجى ..)) و سيشير بأصبعه الجميلة.

هي تشعر بالملل بالتأكيد، أنا وقتها كنت أسكر وحيداً في بار زجاجي يطل على ميدان قديم بمدينة كبيرة، و الأيام القليلة التي أعود فيها كنت أجلس ساهماً مُبْحَلَقاً في سقف الكوخ الخشبي، رأيتها ثاني يوم، تدخل بصحبة صديقتها

لشقته في الدور الخامس المظلة على البحر، موسيقي جاز
قديمة عليها يغني صوت أسمهان، تُسلم على هذا ويتسم هو
لمقدمها، ((يوووب)) تشرب التكيلا ((تسس)) تمص فص
الليمون، تُدخن سيجارة وهي في البلكونه تنظر للبحر،
وسيكون هو طبعاً بجوارها لتمدح المشهد ليلاً ((منظر البحر
من هنا جميل جداً))، وسيرد هو ((أنا بحب جداً البحر
بالليل)) سيشير بأصبعه لمنارة بعيدة، فيجذبها شكل أصابعه...
طويلة ونحيفة تليق بعازف بيانو أكثر من مُناضل يمتلك شقة
على البحر.

عينها في الليل تأخذ لوناً آخر تتسع حدقتها، وتختفي
خُضرة لونها، تُصير أكثر ميلاً للون العسلي المشبع برمادية
كعين هرة، وتكتسب سلطة وإغواء أسطورياً. في ليالٍ كثيرة
كنت أستيقظ فأراها تُحملك في وترأقب نومي، كانت نظرة
عينها فقط تُضعفني فلا أقوى سوى علي الدخول أكثر تحت
الغطاء وأطلب منها بصوت واهن أن تُعانقني. على خلفية
صوت أسمهان ((أصبره وأوسيه و النار بترعى فيه)) بالتأكيد
فإن نظرة عينها ستكون أكثر فتنة من أي وقت.

سوف يأخذها إلى ركن مكتبته وبينما تتأمل المكتبة
وكوب النبيذ بيدها، سوف يُقبل رقبتها من الخلف، ستنظر له
حائرة، وصوت أسمهان أكثر حيرة يأتي من مكبرات الصوت،
سوف يُعانقها ويهبط بيضاء و توجس القبلة الأولى على
شفتيها، وفي الصباح سترتدي قميصاً من قمصانه وتقف
بجواره في المطبخ وهو يعد لها القهوة، حائرة لكن قرارها
كانت تراه واضحاً أن تمشي أكثر نحو طريق الأيسر الذي
يجعلها تمضي في الحياة أكثر خفة. أن تترك حقائبها في القطار
وتكمل الرقص فوق الدرب الأصفر.

أنزلت زجاجة البراندى من على شفتي ورفعت عيني نحو
السقف حيث مروحة بثلاثة أذرع تدور بيضاء، أغمضت عيني
ورأيت حوتاً ضخماً يسبح في السماء.

* * *

((أنتَ مُسافرٌ؟!)) انحنيت على كفه ذو العروق الزرقاء
المُجهدة وقبلته ((أيوه يا جدو))، كان الوقت عصراً
والشمس تدخلُ من النافذة بضوء حنون ومعها ريح لطيفه؛ في
جلبابه الأبيض نائماً على السرير، رفع يده اليميني وهرش في

رأسه، كانت حالته مُتَحَسِّنة بعض الشيء ومزاجه في مثل ذلك الوقت يبدو رائقاً.

في مثل هذا التوقيت مُنذ أكثر من عشر سنوات، حكى لي عن الفتوة الحكيم الذي سَادَ حَارَتِهِ بِالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ، وزهد الدنيا في آخر أيامه حين شعر بالوهنِ وضعف سَاعِدِهِ فاعتزل الحَارَةَ والدنيا وتفرغ للتقرب لله، حتى فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فتمنى على ملاك السر الذي تجلّى له، أن يطلب من الله تحويله لتنين لا تنضب قوته أبداً، فصار أسطورة يفرد أجنحته ويُحلق يَطلِقُ النَّارَ مِنْ فَمِهِ وَيُحَارِبُ مِنْ يَرَاهُمْ أَشْرَاراً، يرتفع للأعلى قادراً على الدوران حول الأرض في ثلاث ساعات، بذيله يبيد مدناً، وبنار فمه ييخر أنهاراً ويدفعها لتسقط المطر حيثما شاء، أضل الكثيرين بعظمة قوته فعبده البعض وتركوا السجود والتذلل لله. أما هو فالكبير ازداد في قلبه يوماً بعد يوم وهو يُرَاقِبُ رَعِيَّتَهُ وَمُؤْمِنِيهِ يَزِدَادُونَ فِي الْعِدَدِ وَيَتَقَرَّبُونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْقَرَابِينِ مَا بَيْنَ هَدَايَا عَيْنِيَّةٍ وَحَتَّى أَجْسَادٍ بَشَرِيَّةٍ، حتى أنه وقف فوق جبل صخري ذات يوم يطل على صحراء حمراء وهتف بصوت سمعه كل من في الأرض ((لمن الملك يوم؟!)). عند هذه النقطة كان عم أحمد

صديق جدي يتسم ويعدل من وضع طاقيته الصوف البلدي
على رأسه فيشير جدي بأصبعه إليه مُوجهاً كلامه إلي ((ثم
شاء الله أن يعد عمك أحمد لأمر عظيم..)) ويضحك الاثنان
في صوت واحد.

بعين الخيال كنت أرى ملاك الرب وقد حمل البشري
لعم أحمد الذي ارتفع بأمر الواحد الأحد ليصير حوتاً يتجاوز
طوله الميلىن ويسبح في السماء برشاقة بالغة ليقيم أمراً عند الله
كان مكتوباً، رأيت المعركة التي جرت في الصحراء البعيدة،
وهدمت فيها جبال وزُلزلت فيها أراض واستمرت ثلاث
سنوات في كر وفر ليتحرك ذيل الحوت في غفلة من التنين،
ويضربه عم أحمد ضربة بمشيئة الله تكون قاسمة، فيندفع بعيداً
بقوة اللطمة حتى يرتطم بعين الشمس، فترجو وتتدلل الشمس
للمولى عز وجل أن تحرق عدو الله فيأذن لها، فتحرقه ببركته،
فيغار البحر ويُسابق الشمس في حب الله فيرجو المولى أن يمن
عليه بأن يقتل عدو الله، فبأمر الله تفلت الشمس التنين الفتوة
فيسقط في البحر حتى يلفظ أنفاسه فيكتم ماء البحر حياته،
فتبكي الأرض لعرش الرحمن ((يا رب سبقني البحر والشمس
لطلب طاعتك فامنحني فضل دفن وأكل جثة عدوك وعدو

نبيك)) فبأمره سبحانه وتعالى عما يصفون يلفظ البحر التين
وقد انكمش جلده وتضائل حجمه فيسقط على الأرض التي
تبتلعه بفمها وتدفنه في جوفها، حتى يبعث الله جدي وقوم
صالحون معه، فينون فوق البقعة التي ابتلعت فيها الأرض
التين، ويقولون بأمر الله يصير هذا مقاماً ويكون هذا شارع
التين الذي أكلته الشمس.

يصمت جدي، ويرفعُ القلةَ ليشرب منها، فأسأل وأنا
مسحور جالساً بينه وبين عم أحمد ((وبعدين؟!)) يتزل القلة
ويعمسح الماء من علي شفتيه ((ربنا رزق عمك أحمد هذه
الأرض و أعاده لصورته، فقد خلقنا في أحسن تكوين)) انظر
لعم أحمد فألمح مُسدسه البارز من صدر جلاببه، الشمس
تقترب من الغرب، جالسين نحن الثلاثة كل شيء الآن يقترب
من اللون البرتقالي وعيني تصير أضعف، الذكرى تضيع
وتتشوش، فأجد نفسي في ذات الوقت جالساً بجوار جدي
على السرير، أنحني عليه وأقبل رأسه، فينده علي ويطلب مني
أن أدلك رجله.

* * *

ما كان يجب أن تجري الأمور هكذا، وما كان يجب أن
تفعلي هذا يا جميلة المحيا، ما كان يجب.

Ooooh, babe
Don't leave me now.

الريح تُدفع شعرها الأصفر فيبدو من الخلف كجناحي
فراشة، تسبقني بخطوتين وترتدي فُستَاناً أزرق طويلاً، أحاول
الوصول إليها، لكن الطريق الجبلي يُرهقني أصعد.. أصعد،
أنادي عليها أني تعبت من المشي يا جميلة، فتضحك ولا
تلتفت وتستمر في المشي على الأَمْر الصخري وتصعد..
تصعد، يا جميلة القمة بعيدة عليّ ولم تعد في طاقة للمشي،
تضحك أكثر وتستمر في الصعود.

الهواء يطير شعرها نحو الخلف والفُستَان تتداخل ألوانه
الزرقاء في عيني، أراها حشرة ضخمة تتوحش وتصير ناموسة،
ناموسة ضخمة حجمها ضعف حجمي لكنه رهيف، يلفه
قَمَاش الفستان الأزرق، أجري نحو الأسفل بينما يزداد
تضخمها وتقترب مني أكثر وفي كل خطوة تصير ملامحها
أبشع، أتعثّر في حجر، أقع على الأرض فيجرح كوع يدي،
أظافر يديها تستطيل وتُصبغ بالأحمر، شعرها يُصبح كُتلة لُب
ويتداخل مع وجهها، ملامحها تُمسخ و يصير كل رأسها
عبارة عن مبسم ناموسه أصفر ضخم، أزحف مُحاولاً الهروب
لكن جذع شجره يقف حائلاً في ظهري تقترب مني

وضحكها ترن في أذني، تنحني علي وتضع مبسمها على
صدري، أشعر بالاختناق وبصدري ينتفخ كبالونه أحس
بقرب انفجارها. أغمض عيني أحاول السباحة لكن خبطات
ذراعي عشوائية، ونفسي يضيق ودوامة من المياه تسحبني
للأسفل، أدفع جسد للأعلى وأخذ نفساً أملاً صدرى بالهواء
فأجد الدم يصبغ مياه حوض السباحة وجثة الصبي الأسمر
تطفو بجواري، يملكني اليأس فأترك نفسي وأهوي للأسفل
واهباً نفسي للغرق.. فريسة لجميلة المحيا!!

* * *

ذهبت للكوخ لكي آخذ بعض اسطوانات الموسيقى
وكوب البيرة الذي أضعه هناك، دخلت المطبخ الأخضر،
وفتحت الدولاب، تناولت الكوب الزجاجي الكبير، ووجدت
بجواره أنشوطه شعرها السوداء، تركتها وخرجت لغرفة النوم.
فتحت الدولاب ابحت عن الاسطوانات، عيني تدور
وتقرأ أسماء الأشرطة والأغلفة، مددت يدي تناولت صورتها
المعلقة بالدولاب. وقت تلك الصورة كنا في بداية طريقنا، في
الكوخ حضر زياد وعدد من صديقاتها أوقف زياد دراجته
البخارية في الحديقة، وارتدت هي بلوفر أخضر مُضحكاً

وطويلاً، جرت مني وأنا أحاول أن أصورها، كنت أبتسم
وكانت هي تضحك، حتى وصلت للدراجة النارية الضخمة،
جلست عليها ورفعت إحدى رجليها عارية ووضعتها على
المقود، ابتسمت لي ونظرت نظرة كتلك، وقفت مكاني
مَسحوراً بجمالها رفعت الكاميرا أمام وجهي وضغطت على
الزرر.. ((تشالك))

فدخل جنته وهي خاويةُ على عروشها
أو مُجالسة التنين مؤانسة الحوت

I don't need no arms around me
And I don't need no drugs to calm me.
I have seen the writing on the wall.
Don't think I need anything at all.

مُرْهَقٌ مِنَ السَّفَرِ تَوَقَّفْتُ فِي مَحْطَةِ السِّيَّارَاتِ، انْتَظِرْ
مِيكروباص لِيُقْلِنِي مِنْ أَمَامِ الْمَحْطَةِ إِلَى حَيْثُ أُسْكِنُ فِي الْمَدِينَةِ
الْكَبِيرَةِ. مَا كَانَ هُنَاكَ مِنْ مِيكروباصاتٍ وَلَا سِيَّارَاتٍ، لِذَا
فَقَدْ وَقَفْتُ انْتَظِرْ.

كُنْتُ أُمْنِي وَلَوْ لِثَانِيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ أَنْ أَرَى الْبَحْرَ لَكِنَّهُ
الآنَ كَانَ بَعِيداً كُنْتُ فِي مَدِينَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا أَشْجَارَ
الْأَسْمَنْتِ. نَظَرْتُ حَوْلِي فَرَأَيْتُ الْمَبَانِي الْمُعْتَادَةَ، وَكُنْتُ ضَعِيفاً
كَأَنِّي فِي حُلْمٍ، تَخَيَّلْتُ وَأَنَا مُرْهَقٌ مَاذَا لَوْ وَقَعَ هَذَا الْمَسْبِيُّ
الْأَصْفَرُ الْقَائِمُ عَلَيَّ يَمِينِي، تَخَيَّلْتُ انْتِخَالَ الْمَسْبِيُّ بِالْكَامِلِ فِي
ظَرْفِ ثَانِيَتَيْنِ، إِذْ يَتَحَوَّلُ الطَّابِقُ الْأَعْلَى إِلَى رَمَادٍ أَسْوَدَ بِسُرْعَةٍ
وَبَلَا صَوْتٍ، يَتْبَعُهُ الدُّورُ التَّالِيَّ وَهَكَذَا دَوَالِيكَ. حَتَّى يَصِيرَ
كُلُّهُ رَمَاداً فِي لِحْجَةٍ عَيْنٍ وَفِي زَمَنِ لَا يَتَجَاوَزُ ثَلَاثَ ثَوَانٍ وَكُلُّ
هَذَا بِلَا أَيْةٍ مُؤَثِّرَاتٍ صَوْتِيَّةٍ، فَقَطْ صَوْتُ هَشِيمٍ مِثْلَ عَوْدِ
كَرِيْتٍ يَشْتَعَلُ.

ألتفت لأشاهد سيارة ميكرو باص تدخل الموقف، لكنها لم تكن متجه إلى الضاحية الزجاجية حيث أسكن، نظرت مرة ثانية إلى المبنى الذي تخيلته يهوي، فشاهدته يسقط بالضبط مثلما تخيلته.. الدور الأخير منه تحول لرماد ومنه ارتفعت صرخة قصيرة وانتقلت العدوى الرمادية إلى الطابق الذي يليه حيث خرج منه ضوء وانطفأ مُخلفاً رماد أسود وفي ثانيتين كان المبنى بأكمله يقطع من الاحتراق والنيران قد أكلته وبصقته كومة رماد. انتشيت كأني قد فزت وشعرت بقشعريرة كهربية على طول ظهري حتى عضوي تمدد من سباته وغيبت نشوة القوة طعم الدماء في عروقي. فجأة اكتشفت وجود قدرات ذهنية خارقة في كينونتي؛ تملكني القوة

سقط المبنى فساد هرج ومرج، البعض يجري هنا والبعض يجري هناك، رفعت عيني باتجاه مبني آخر على أحد جدرانها علق إعلان ضخم يبلغ طوله أكثر من ١٢ متراً ركزت ذهني بسهولة انفصل الإعلان عن الجدار، وطار في الهواء لمسافة قدرتها ليهوي في حديقة صغيرة خالية.

أنا ملكُ في الأعالي يا بشر فوق الجميع مُسلحاً ومحمياً
بقدراتي الخارقة.

* * *

مرحباً، صباح الخير، وفي حالة ما إذا لم نلتقي اسمحوالي
أن أقول مساء الخير، ليلة سعيدة، طابت ليلتكم، تصبحون
على خير.

هذه غرفتي. أسكن هنا منذ حوالي سنة وسأسكن في هذا
المكان لسنةٍ أخرى قادمةٍ أنهى فيها دراستي وأعود إلى شارعنا
والبحر أو ربما أسافر لبلاد يحضر منها الرجال الذهب لأغراض
اجتماعيه.

يعقوب القناوى هو شريكى في هذه الشقة له غرفة ولي
غرفة، أحياناً يحدث أن تناول العشاء أو الغذاء على طاولةٍ
واحدة، يعقوب قادم من الجنوب؛ أخوه الأكبر يجارب
المتمردين في مكان ما وفقد في تلك الحرب كليين كان
يربيهما من الصغر. أقول مساء الخير وأضع نُقطة لأكتب في
منتصف السطر كيف فقد يعقوب القناوى عقله؟ يقول
يعقوب ((ما أشد فتنة الذكريات على قلب من هو ليس بغر و

لا فتى)) لذا فهو ينصحني أن أكتب، بعدما رفض علاجي أو حتى مجرد الاستماع لي.

قضينا معاً سنتين بعدها صار لي ما جري، وصار يعقوب طبيباً نفسياً، تخصص في علاج اكتئاب الحرب وما يتبعه من أمراض كان طبيعياً أن تخلفها في الجميع كنوع من الذكري في أرض المعركة. يقول يعقوب ((من فضلك، اكتب، انتحر، أشعل النار في نفسك بجاز، لكن بعيداً عني، لا أريد أن أتذكرك و لا أن أتذكر تلك الأيام أو الجمل))

حتى يعقوب يحاول الهروب من فتنة الذكريات. لكني لا أريد أن أنام فماذا يتبقى لي سوى جدار الذكريات أتكى عليه ويحميني من الآخرين.

* * *

بجواري كانت تقف فتاة ذات شعر أسود طويل وبنطلون جيتز ضيق يُبرز أردافها المُستديرة المُحبوسة، شعرها طويل وعيناها تُراقب الفوضى والدمار الذي خلقتة بإسقاطي المباني بقدراتي الذهنية، شعرها أسود وناعم و عيناها واسعة وبنية، أخرجت سيجارة ووضعتها في فمي، ترتدي تي-شيرت أسود ضيق وعودها ممشوق وصدرها صلب كلحم

الفرس، رفعت إهامي الأيمن وداريت عليه بيدي اليسري
أخرجت النارَ من إهامي و أشعلت بها السيجارة، ظهرها كان
لي، فثبت عيني على مؤخرة رأسها.

وجدت حمام حريمي في مدرسة ثانوية، على بابهِ الأبيض
من الداخل، رُسمت قلوب وأحرف وأسماء ((ي&م)) حب
للأبد، ارتفعت بمجال الرؤية داخل عقلها أكثر كان هناك
رجل عجوز تقول له بابا تحبه كثيراً، و في الطرف الآخر أم
ثرثارة لا تترك لها أي مجال للحرية والتنفس، على اليمين
أضواء تلمع وملابس فخمة وتلفزيون وراديو حيث تحلم بأن
تصير نجمة، ثم طفت سحابة سوداء عابرة حيث الفوطة
الصحية تحتاج إلى أن يتم تعديل موضعها فوضعها الآن
يضاًيقها، ثم سطعت الشمس مُنبهرة بمنظر المباني التي سقطت
وفكرت في فرحتها كيف أنها ستكون المحظوظة التي
ستحكي لأصدقائها عن مشهد سقوط المبني الأصفر، أخذت
نفساً من السيجارة بعمق وجبسته بصدري.

الآن لنتقل إلى المستوى الثاني، سبحت في خلايا رُمادية
وتجنبت إشارات عصبية كهربية، أمسكت السلك الأحمر
وقطعته، التفتت بوجهها نحوي وتبسمت في وجهي، اقتربت

أكثر مني، بيننا ستة خطوات، بدت مُملة، في الخطوة الثالثة
أعدت توصيل السلك الأحمر فتوقفت مكانها، احمر وجهها
ولم تكن تدري لماذا تبسم لي، وأين تبددت رغبتها؟ وفكرت
أنا في جميلة المُحيا لكنها كانت بعيدة؛ أبعد من بحالي
المغناطيسي.

* * *

أنا ذاهبٌ هناك لمدينةٍ يتسم فيها الجميع لبعضهم البعض،
فقد رأيت حقيقتكم علي جدران جماجمكم من الداخل

Goodbye cruel world,
I'm leaving you today.

أنا أنام، أشعر بجفوني تتناقل، ثم برأسي يسقط، أنتفض وأضرب بكف يدي على صدغي، أشدُ عَضَلَاتِ أَجْفَانِي لِأَجْرِهَا عَلِي الْبَقَاءِ مَفْتُوحَةً، هُنَاكَ أَلْمُ فِي ظَهْرِي وَوَهْنٌ فِي كُلِّ عَضَلَاتِ جِسْمِي. يَا رَبِّي كَمْ أَنَا ضَعِيفٌ وَمَرِيضٌ لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ أَظَلُّ مُسْتَيْقِظًا، يَجِبُ أَنْ أَظَلُّ مُنْتَبِهًا، يَجِبُ أَنْ يَظَلَّ النَّوْمُ بَعِيدًا عَنِّي..

ابتعد أيها النوم أمامي طريق طويل. تَمَاسِكْ يَا جِسْدِي وَأَبْعُدْ هَذَا الْخَدْرَ عَنكَ لَيْسَ الْوَقْتُ وَقْتُ نَوْمٍ. أَشَدُّ ظَهْرِي وَأَحْرَكَ رَأْسِي بِسُرْعَةٍ يَمِينًا وَشِمَالًا حَيْثُ أُرْتَدِي الْآنَ الزَّمَى الْعَسْكَرِي جَالِسًا فِي بَرَجِ حِرَاسَةِ عَلِي طَرِيقِ جَبَلِي، يَدِي تُمَسِكُ السَّلَاحَ وَالشَّمْسُ فِي طَرِيقِهَا لِلشَّرُوقِ مِنْ مَكَانِي كُنْتُ أَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْكَائِنَاتِ وَ قَدْ بَدَأْتُ تَسْتَيْقِظُ، لَكِنْ نَسْمَةُ هَوَاءٍ بَارِدَةٍ تَسْلُلُ لِرِئْتِي وَتَرْتَخِي عَضَلَاتِي ثَانِيَةً

ابتعد أيها النوم، أشد ظهري وأفتح عيني لأقصى مدي أحمق في سطور الكتاب المدرسي أقرأ جملة و ابدأ في ترديدها بصوت عالٍ حتى أنه حواسي وأنعشها ((وتتأثر حركة المد

والجزر بالمسافة بين الأرض والقمر)) أرددتها مرتين وأنتقل
للجملة الثانية لكن الكلمات تتداخل في عيني و للأسفل تهبطُ
جفوني وتتخدر عضلات وجهي. يا ربي ليس الآن لا أريد أن
أنام..

وأمدد جسدي على كرسي الشاطئ القماشى، جسدي
عَار وعليه قطرات مياه قليلة، للتو قد خرجت من المياه
والشورت الأخضر لا يزال مُبتلاً، الشَّمس الآن تغرب والرمل
تحت قدمي بارد و فيه قدر من الخشونة تُجبرك على الابتسام
كأنما تدغدغ باطن القدم. الموج ينسحب لداخل البحر،
أغمض جفوني لأتقي أشعة الشمس البرتقالية وهي في طريقها
للغرق في المحيط حاملة جثة التنين، ومن المياه كانت جميلة
المحيا تخرج وهي تضحك مُرتديه مايوه أسود تبدو فيه
كطفلة نشأت وسط الساحرات. الشمس خلفها تعطيها ظلاً
يداري ملامحها ولا يحتوي ضحكتها. ها أنا مُمدداً على
الشاطئ أتأمل الشمس والبحر والتنين وجميلة المحيا، والألوان
منها الأحمر والبرتقالي والأزرق والشورت الذي ارتديه لونه
أخضر... لماذا إذن تنتزعني من كل هذا أيها الرب؟

لماذا لم تركني وتبتعد، لماذا لم تبحث عن فريسة أخرى
أيها النوم؟

* * *

في وقت الهدنة وظهور وجه السماء الأزرق، كنا نُخرج
درَاجَاتنا، نلتقي عند عطفه كريم الكرماء، ثم نبدأ في التجوالِ
على طولِ الشَّارعِ من البحر حتى نهايةِ السورِ العَاليِ ومن
السورِ العَاليِ إلى الشوارعِ الفرعيةِ والشقوقِ والجحورِ، نُحرك
البَدالِ بسهولةٍ فوقِ الأسفلتِ وبصعوبةٍ فوقِ الرملِ وتَهتز
أجسادنا حينما نسيرُ الدراجةِ فوقِ الحجارةِ، و لأن كرسِي
دراجتي من الفيرِ الصلبِ لا الإسفنجِ فقد كانت الاهتزازاتِ
تؤلم مؤخرتي وفتحة شرجي.

فتحة شرجي مرة ثانية، بعيداً في الزمن.. ذات مرة
حملت مرآة صغيرة ودخلت الحمامَ عازماً على فحصِ كل
جزءٍ من جسدي خصوصاً هذا المجرى المظلم الممتد من أسفل
عضوي حتى مؤخرتي، كان يمكنني أن أري عضوي و أري
مؤخرتي لكن لم يكن بالإمكان رؤية ما بينهما وحين وضعت
المرآة وجدت تعرجاً جلدياً طويلاً كسلسلةِ جبالِ حمراء يبدو
كأنه أثر خياطة قديمة وينتهي بفتحة شرجي. همست لنفسِي

((إذن الأمر هكذا)) لقد ألبس عظامي اللحم وغطى اللحم بشبكة الأعصاب والحواس وأطلق فيها النمل، وضع في رأسي حوتاً وفي قلبي حزناً وغير معدتي برأس جمل وبني فوقه حجاً حجاباً حَاجِزاً، ثم ألبسني معطفاً من الجلد وخاطه من الداخل بضربات عليمه ماهرة في منتصف جبهي وعلى أنفي وفي شفتي وتحت لساني وعلى طول منتصف صدري الممتد حتى قضبي يمكنني الإحساس بضربات الإبرة والخياطة الداخلية، ولضيق المساحة بين الفخذين فقد خاط الرداء من الخارج، ثم جمع ما تبقي من القماش و بالخيط والإبرة بطن به الشرج من الداخل.

على العجلة في الطريق العثر وفي الاهتزازات التي تصنعها الحجارة كان الألم يأتي كنفرة على فتحة شرجي، وهاجس آخر يتمثل في سؤال يهمس في أذني ماذا لو انفكت الخياطة الداخلية لأسقط من علي العجلة وينفر مني المعطف الجلدي وتتساقط الفئران أسفل منه ويخرج الحوت ليطير ويفارقني الحزن ويمتطي الجملة الحجاب الحاجز ويشرح في الطريق... ماذا أفعل وقتها؟

Hey you, out there in the cold
Getting lonely, getting old
Can you feel me?
Hey you, standing in the aisles
With itchy feet and fading smiles
Can you feel me?
Hey you, don't help them to bury the light
Don't give in without a fight.

ارتفع صوت سيارات الإطفاء، البعض يصرخ وآخرون
وقفوا مكانهم صامتين ينظرون إلى أثر المباني المهتمة الذي
خلفته بقدرتي الحارقة السرية، صرفت نظري عن الفتاة ذات
العيون البنية ودخل ميكروباص فارغ للمحطة ركبت في
الكرسي المفضل خلف السائق. وقفت السيارة لدقائق إضافية
ليركب آخرون، ثم تحركت.

أخذت عينايا بشكل لا إرادي تقرأ لوحات المحلات،
والإعلانات وعروض التخفيضات، حتى سرحت بعيداً..
فكرت ببعقوب القناوي، وفي نفسي وفي التشابهات والتفاصيل
الصغيرة المشتركة بيني وبينه، لكنها بدت جميعها معكوسة أنا
من الشمال وهو من الجنوب أنا قمحي اللون وهو أسمر أنا
أنام هو يصحو أنا أصحو هو ينام، نحن الاثنان نأكل معاً.

ليس يعقوب شبيهي بل مثلي إنه أنا معكوساً. نطقت
الجملة الأخيرة بصوت منخفض.

نعم يعقوب هو أنا معكوساً بالتأكيد.

* * *

سندت الدراجة على سور البيت، وتركت أمين
يحرصها، مشيتُ ودخلت في شقٍ صغيرٍ فتحت سحاب
السروال، أخرجت عضوي الصغير ((همم)) ابتسمت راضياً
عن الراحة التي انسابت في جسدي من جراء خروج المياه
الساخنة، أخذت ارسم أشكالا علي الحائط بالمياه الصفراء،
أخذ الحيط يقصر وقوة دفع المياه تضعف، توقف لثانية وأخرج
رمية قصيرة، هزرت عضوي فانبثقت منه قطرة واحدة،
مستديرة صفراء ساخنة مشبعة بالأملاح مجذوبة بقوة الجاذبية
الأرضية للأسفل فأخذت تمسك في استسلامٍ وعيني
ترقبها، صوت صغير قذيفة تسقط من السماء ((ففووو)) ها
هي القطرة الصفراء تهزها الريح فتميل يساراً و ما إن لمست
الأرض حتى سطع نور باهر ثم ظلام تام بعده.

ارتفع صوت سيارات الإسعاف، قادماً من بعيد بينما
كنتُ أحمل حجراً ثقيلاً وأساعد الآخرين في رفع الأنقاض،

نسيْتُ أمر الدراجة ومعها أمين كان هناك دائرة واسعة من الخراب والزجاج المكسور والملابس والكتب والأوراق والدماء والصراخ والأنين. وكنتُ أحمل حجراً ثَقِيلاً حينما أشار لي ((أنت.. ماذا تفعل هناك؟ أنت تترف.)) نظرت له وتركت الحجر يسقط علي الأرض مددت يدي خلف مؤخرة رأسي كان هناك حرق خفيف وبأصابعي أحسست بلمس ذلك السائل اللزج، وضعت أصابعي أمام عيني ودققت النظر في الدماء، ثم ظلام تام بعدها.

في أنفي رائحة غريبة، نائماً على فراش ناعم لا يشبه فراشي فتحت عيني فكان هناك سقف أبيض ومصباح نيون مطفأ، ريقى جاف ولا أستطيع تحريك جسدي، أدت رأسي لليمين حيث نافذة زجاجية مغلقة، من خلفها سمعت صوت صفارات الإنذار، في الخلف يسود الظلام المدينة باستثناء كشافات الدفاعات الأرضية التي تجوب السماء في محاولة لاصطياد طيور الرخ... ثم سمعت الصوت المميز لسقوط القنبلة B-32 صفارة مخنوقة طويلة، ضوء باهر لمع في النافذة وضائق عيني، ثم ظلام تام.

ولأن حلقي جاف فقد شعرت بالعطش والتعب والضياع والوحدة وأنا أسير بجوار سور طويل من العمارات المتلاصقة وكلها عمارات بلا أبواب ولا شبابيك، فقط كتل أسمنتية مُصمته مُمتدة إلي ما لا نهاية تصلح لأن تسند عليها دراجتك، أن تتبول بجوارها، تسند عليها ظهرك، لكن ليس هناك ما هو أكثر من ذلك، فقط العطش والجفاف والسير إلي ما لا نهاية. ورغم أني كنت أعرف أنه ما من نهاية، فقد كنت أسير مُستنداً على الجدارِ أسمع من ورائه أحاديث لا أستطيع تمييزها وضحكات وأصوات بكاء وروائح غيرة وصرخات حب كلها اسمعها مُشوشة، وأحبط على الجدار لكن لا أحد يجيب.. أصرخ ((يا أهل الدار)) لكن العمارات بلا أبواب ولا شبابيك، ((هاللو)) لكني لم أكن أميز أحاديثهم بوضوح. أمشي أكثر وأجد أني أحمل حجراً، على يساري السور والعمارات الصماء وأصوات البشر وروائحهم، وعلى يميني هناك مراعٍ خضراء، مساحة لانهاية من العشب الأخضر تنتهي بأشجار كأشجار الغابة، لكن ثقل الحجر وحلقي الجاف يعوقني عن التدقيق أكثر في المنظر. ومع ذلك أرفض

الابتعاد عن السور والمباني وأخاف أن أتوغل أكثر في المراعي
الخضراء

ما من أحد أجبرني على هذا يا يعقوب، بإرادتي الحرة
كنت أسير بمحاذاة سور من العمارات المصمتة حاملاً حجراً
ثقيلاً أقاسي العطش وارتخاء عضلات الساقين والعفونة تحت
الإبط والتسلخات بين الفخذين، تاركاً عُشباً أخضر وغابة
كان بإمكانها أن أقابل جنية زرقاء أو راهبة خضراء
تشملي بمحبتها، لكن ذلك لم يحدث، ظللت أسير بمحاذاة
الجدار، أصرخ على بشر لا يسمعونني وأدق بيدي وبالحجر،
ومع كل خطوة كان غضبي يزداد.

خلف هذا الجدار كنت أحلم بمدينة يتسم فيها الجميع
لبعضهم البعض، بشبكة صرف صحي قوية وأسفلت يلعب من
النظافة ومبانٍ زجاجية وخشبية، سيارات، شركات مُحاسبة،
مراكز تجارية، مسارح، نوادي ترفيهية، ملاء ليلية، بنات
مُتحررات، حب جسدي سريع، نظارات شمسية، مجلات
علمية، متحف للديناصورات وآخر للفراشات، حي صيني،
وحي لليهود، حمامات سباحة مُغطاة، أنهار يتراص علي
جانبيها العُشاق وكباري حديديه تحرسها أسود وأبراج،

حفلات رسمية، وأخري بالجيتَر وطعم التكيلا في الفم، زهور
صناعية، وأمطار باردة في الخريف.. ((يا أهل الدار)) لكن ما
من أحد. وما من إشارة واحدة. ((أدخلوني، أريد الهروب من
هنا)) خلفي كان اللون الأخضر يغادر الغابة ويتسلل الأسود.
لا أبكي أو أتوسل بل أصرخ وأسب ((أدخلوني)). أسمع
صوت مُحركات نفاثة في السَّمَاءِ هناك طائر رخ يُحلق
مبتعداً.

يزداد العطش، وأضعف أكثر فأكثر، فأجد عجوزاً
يرتدي جلباباً أبيض مُتسخاً، جسده نحيف وجلده منكمش
رخو. يجلس على العشب الذي صار أسود بعد غياب مُصباح
الضوء في السَّمَاءِ -الشمس الافتراضية- وإصبعه يلعب في
فضلات أنفه يخرجها، يُحركها بأنامله ثم يقذفها في فمه
((أمم)) يبلعها، أراها كتلة بنية اللون تتدحرج عبر مريته، بدا
سعيداً جداً ذاك العجوز، بدا راضياً، و بدوت أنا غاضباً، لا
أحد يسمع، لا باب ينكسر، ولا نافذة تُفتح.

((أنا أكرهكم)) رفعت الحجر وهويت به على مؤخرة
رأس العجوز، مرة، مرتين، ثلاثة. قتلت العجوز.

* * *

يترلني باص المدرسة أمام بداية الشَّارع، فأسير حَاملاً
حقيبتِي بعد يوم طويل، ملابسي مُتسخة والقميص خَارِج
البنطال، جسدي الصغير الجميل وقتها الخالي من الشعر،
حدائي الرياضي المترب برمال سَاحة المدرسة، الجوع وتمني أن
تكون أُمي قد أعددت وجبة مُحبية، تُقل الواجب المدرسي
في الرأسِ وخفة لذة مُشاهدة حلقات الرسوم المتحركة في
المساء.

وحدي أمشي في الشَّارع أعد البلاطات المرصوف بها،
أغير اللعبة لمُحاولة المشي علي الخطِ الفاصلِ بين البلاطين.
السَّاعة الآن حوالي الرَّابعة عصراً

But it was only fantasy.
The wall was too high,
As you can see.
No matter how he tried,
He could not break free.
And the worms ate into his brain

Is there anybody out there?

إذا مَشيت في شَارعنا بِاتجَاهِ البحر، وقطعت شَارِعَ الكورنيش الرئيسي، وجلست علي السورِ الحجري، وكنت بالصفاءِ اللازم، سترى النورس الأبيض عَالِقاً في المِيَاهِ المصبُوغَةِ بالبترولِ والمآزوت، وستري الصخرة الموجودة في مُنتصفِ البحر، عليها سيمكنك أن تسمع صوت بكاءِ عروس البحر ستدرك وأعضاء جمعيات حقوق الإنسان وحمَاية البيئة. حينها أن البحر لم يعد بحراً، والكورنيش كما لك أن تري خالي إلا من الكلاب الهزيلة والقطط القذرة، وإذا كان لديك الحسّاسية الكافية ستدرك أن هذا المكان كان مَكاني المفضل أنا وجميلة المُحيا.

أنا أراك عزيزي من هنا، من مجلسي على ذلك السرير في الكوخ الخشبي بالجبل، أراك من هنا وأرى حزنك، وتراني و تري وحدتي. تعال المسني بنفسك تُحقق من وجودي، تأمل حواجبي، حرك يدك على ذقني الخشنة، ضع أنفك علي رقبتي، أسند جبهتك لصدري العق معدتي، مد أظفرك وانزع ذلك

الكساء الجلدي تأمل بنفسك رأسَ الجملِ المدفون في بطني يا
عزيزي يعقوب.

* * *

في شارعنا ولد وسيم لدرجة تجعله يشبه الرسوم
المتحركة اليابانية، لديه شعر أسود فاحم ناعم ومُصَفَّف
للخلفِ قامة طويلة ويلعب الكرة بمهارة عالية، يكبرني بسنة أو
أكثر قليلاً، أحياناً نمشي معاً في اتجاه الملعب أو نركب الدراجة
واسمه كان أمين. هادئ ومطيع رغم ما تعطيه ملامحه من
كاريزما عدوانية، قليل الكلام لذا ليس بالإمكان أن أقول إني
أعرفه أو أنه صديقي، لكن كنا جيران نلعب الكرة أو نركب
الدراجة معاً.

حدث في يوم أن سمعت ضجة وعويلاً وصراخاً عالياً
هرعت أمي إلي الشارع وكنت أتبعها بدافع الفضول، وقفت
بينطال أسود وتي-شيرت رسمت عليه دباديب وكتابة
بالإنجليزية وأمامي جمع غفير من البشر. تسلفت بينهم
ووجدت علي الأرض جسداً صغيراً مُغطى بورقِ الجرائد لم
أعرف أو أحمن صاحبه. كانت القصة كما عرفناها كلنا
أطفال شارع التين الذي أكلته الشمس، أن أمين كان يلعب

مع أخته الصغيرة في شرفة مترلهم بالدور الرابع، وفي وسط اللهو أراد فقط أن يخيفها ويسمع صراخها مثل كل مرة حينما يحملها علي يده ويقرب بها من سور الشرفة قائلاً بضحكٍ ((أرميك بره.. أرميك بره))، يقرب أكثر من السور فيزداد صراخها وتزداد ضحكته مرحاً.

هذه المرة أدركت هي اللعبة فالتزمت الصمت، ظل هو يقرب أكثر من السور و هي تلتزم الصمت، أكثر فأكثر.. أخرج يده خارج السور، تشبثت به فارتعب حاول الرجوع بيده بعدما أفلقتة فكرة سقوطها، اصطدم كوعه بالسور. سقطت منه.

لم نشاهد أمين بعد ذلك لفترة طويلة حتى خرج ثانية، مشينا معاً في الطريق للملعب، ركبنا الدراجات سوياً.. لم أكن أعرف أخته لكن صدمت في بداية معرفتي بالحادث وبعد ذلك نسيت الأمر. تذكرته الآن وأنا جالس أمامي زُجاجة البراندي نصف الممتلئة -نصف الفارغة كي لا أفقد المعنى- وسبعا وثلاثين قرص دواء زهري اللون أفكر في مُجالسة التنين ومؤانسة الحوت. أين هو أمين؟

انقطعت أخباره وغاب ذكره. فضيلة النسيان.. فضيلة

النسيان

في لحظة ما لا نستطيع أن ننسى أن نتجاهل القبح المحيط بنا، حينها لا تجد سوي علبة دواء زهري اللون لا تعرف تاريخها، وبدلاً من أن نشفق علي أنفسنا نشفق علي الآخرين فيتذكر الواحد أمين والتين والحوت ويعقوب وسليمه والجواهرجي.

فقط كل ما كنت أريده أن تمسك يدي، أن أسمعك تقول "أنا هنا" حينما أبحث عنك، ألا تتركني لنفسي، فمن يكلني إلا سواك... يا فننس!!

* * *

((هل معك شموع؟)) سألني فأخذت أتلمس الطريق في الظلام وصلت للمكتب تحسست بيدي مقبض الدرج نزلت للأسفل ((لحظة واحدة)) لمست مفتاح الضلعة وأدرته باتجاه اليسار فتحت ضلعة المكتب، حركت يدي بحذر ((يعقوب، لقد وجدت الشمع)).

أحضرت جميلة المحيا هذا الشمع، في وقت كانت قد بدأت الغارات تصل إلي مدينتنا، ويهرع الناس كثيراً إلي

الملاجئ، وفي ليالٍ كانت تُغنى بمصاحبةِ موسيقى الطائرات والقنابل التي كانت تسقط، وفي ليالٍ أُخري تجلس على الفراشِ مضمومة الساقين تنتحب بصوتٍ مكتوم وهي تتعرق وقطرات الماء المالح تنز من جبهتها وعلى طول سلسلة ظهرها. ((أنه طائر الرخ جوجا)) قال يعقوب وهو يتأكد من أن نوافذ الغرفة المدهونة باللون الأزرقٍ مغلقة بإحكام. كانت هذه أول مرة منذ حضرت إلى المدينة تُحلق طيور الرخ فوقها، لكن كنت أعرف أن رخ الجوجا بالذات ليس خطراً، الأمر علي الأرجح لا يعدو رحلة استكشافية أو إلقاء عدد من القذائف على المدارس ومعسكرات الأمن المركزي.

كنتُ أنظف المطبخ الصغير والملم بقايا الطعام حينما دخلت وهي تردد اسمي ثلاث مرات ثم أعقبت ذلك بقبلة، حاولت مُساعدتي لكنني منعتها، أخذت تحكي تفاصيلاً مُتفرقة في مُجملها تبدو مُزعجة ((حبيبي شفت المفاجأة دي)) وأخرجت هذه الشموع التي علي ضوءها أجلس الآن بصحبة يعقوب في انتظار قديفة قبلة أو مخلب طائر رخ يختطفنا، أحملق في الشمعة ونارها وذوبانها، كانوا اثني عشرة شمعة

نفس النوعية والشكل نفس لون النار عند الاحتراق، وحتى الذوبان البطيء له دائماً نفس الطريقة.

كم مرة مارسنا الحب علي ضوء هذه الشموع؟ أربع، ثلاث مرات كنتُ معظم الوقت كسولاً وكانت هي لا تحب الألعاب البهلونية، أحمق أكثر في ضوء الشمعة أحاول تذكر عدد حبيبات العرق على ظهرها، تعرجات فقرات عمودها، شعرها المتصق بظهرها بسبب العرق، ضوء الشمعة المعكوس في عينيها. لم تكن جميلة المحيا هي المرأة الوحيدة أو الأولى أو الأخيرة في حياتي، لكن دائماً هي المرأة التي تأتي صورها ورائحتها وطعم جلدها و ملمس إبطها عند الإحساس بالوحدة.

أراها وأشعر بها تحت جلدي وأنا اشرب البيرة ناظراً في الميدان الكبير، وأنا أجلس شارداً بصحبة يعقوب تحت القصف، وأنا أخرج من الحمام إلي غرفتي عارياً حينما لا يكون أحد بالمتزل، وأنا أغني ليلاً في الطريق، وأنا أتأمل عيني في المرأة... في كل هذه الحالات كنت أحس بوجهها على كتفي وبرائحتها تحت أنفي.

هاللو.. لم لا يجيب علي أحد، علي الأرجح يعقوب نام.

I've got wild staring eyes.
And I've got a strong urge to fly.
But I got nowhere to fly to.
(.....)
There's still nobody home.

ها نحن هنا الآن..

نصعدُ الجبل، معاً نُحس بالصخور البارزة تحت أقدامنا،
نستندُ أحياناً على جذوع الأشجار، نحفُ الأوراقُ الخضراءُ
بيشرتنا، ننجرحُ جروحاً صغيرة في الساعدين والوجه لكن
الهواء منعش ورائحته لذيدة تبت النشوة، أشعر بالبهجة في
قلبي وبالتمدد في عضوي. أيهما يأتي أولاً البهجة أم النشوة أم
أن الأمر لا يعدو لعبة لغوية لوصف إحساس واحد بكلمتين
مختلفتين.. وها نحن نصعد الجبل

لدينا في الكوخ الأخضر مصابيح كهربية وجدران
خشبية، معالق، أواني طعام، مشابك للشعر، واقٍ ذكري في
غلافه، سرير، سخان مياه، موقد طعام، جهاز بيك أب، أغان
لسيد مكاوي و بوب دايلن، زهور ذابلة، دولاب ملابس،
حديقة صغيرة، سجادة علي الأرض وأخري معلقة علي
الحائط، بوستر لراقصة قديمة بالأبيض والأسود، علب فخارية
بيضاء مرسوم عليها دبابديب نضع فيه القهوة والقرنفل

والشاي والسكر والنعناع. وحينما كنا نفتح الباب في مثل هذا الوقت يكون الهواء ساخناً بفعل الشمس المعلقة فوق سقف الكوخ الخشبي. ها نحن هنا الآن..

أفتح الباب و تدخلين خلفي، أنظر إلي الأرض وأشاهد ورقة بيضاء نائمة وأصابعك من الحذاء تكون غارية، أظافرك مقصوفة بعناية ورائحة الحشائش ساكنة في بطن قدمك.

* * *

أهمم، أدرت المفتاح في الباب ما إن دلفت للشقة حتى رميت الحقيبة من ظهري علي الأرض، القميص يلتصق بظهري بفعل العرق. هاأنا الآن في الشقة يعقوب القناوى ينام في غرفته في مثل هذا الوقت. أغلق الباب وأجلس علي أقرب كرسي أغمض عيني وأطلق آهه ثانية، أخرج الموبيل من جيبي أفكر في الاتصال بها لكنني أعرف أن أحداً لن يرد.

أشعر بعظامٍ ظهري تتمدد وتتحرق الجلد من الداخل حتى تخرج وتستطيل أكثر فأكثر؛ أشعر بطبقةٍ من الجلد الرقيق تكسوها وأري الريش يبدأ في النمو طبقة فوق طبقة ريش أبيض نوراني شعشعي الإضاءة والخفة، ينمو فوق العظام ويكسوها و يصير لدي جناحان جميلان.

أمامي توجد كنبه قديمة مُتهالكة مثل كل الأثاث الموجود في تلك الشقق ذات الجدران الصفراء، بيني وبين الكنبه منضدة خشبية عليه لوح زجاج مشرّوخ تغطيه بقع قهوة وشاي وطبق ألنيوم صغير تحوّل لطفاية سجائر مُمتلئة، حوله رماد سجائر رصاصي اللون. توجد نافذة صغيرة في الصالة منها أري الشارع من الدور الثالث حيث أسكن مع يعقوب، أهز جناحي هزاً خفيفاً فيطير رماد السجائر من علي المائدة ومن داخل الطبق الألنيوم. يمكنني الطيران لكن لا يمكنني الخروج من الشقة، لا أجد مكاناً للطيران، ولا أجد منظرًا يمكنني رؤيته غير الجدران الصفراء والكنبه المُتهالكة وأعقاب السجائر ورمادها.

أقوم من علي الكرسي وجناحي يتخبط في الجدران، قادراً علي الطيران لكن ليس هناك من مكان أرغب في الطيران إليه.

* * *

أدرت المفتاح في الباب ما إن دلفت للشقة حتى رميت
الحقيبة من ظهري علي الأرض، القميص يلتصق بظهري بفعل
العرق. ها أنا الآن في الشقة و لا أحد معي...
أهـــاه يا صغيري، لا أحد معك ليس هذا بوطنك،
وما كان يجب أن تكون هاهنا.

Vera! Vera!
What has become of you?
Does anybody else here
Feel the way I do?

يَبْكِي كَلِي عَلِي بَعْضِي وَبَعْضِي يَبْكِي عَلِي كَلِي، كَيْفِ
أَسْتَعِيدُكَ؟

كَيْفِ لِي بِحَجَرِ لِلجِدَارِ، أَوْ لِقَتْلِ رَجُلِ عَجُوزِ؟
أَيْنَ هِيَ المَبَانِي وَالجِدْرَانِ وَالنَوَافِذِ وَالبَلْكَونَاتِ وَالشَّمْسِ
وَتُرَابِ الشَّارِعِ وَصُخُورِهِ، أَيْنَ هِيَ دَرَاجَتِي، وَمَلْمَسِ مَقْبَضِهَا
والبَدَالِ تَحْتَ قَدَمِي، أَيْنَ هُوَ جَدِي وَجَلْسَةِ المِصْطَبَةِ، وَحَفْظِ
كَلِمَاتِ الإِنجِلِيزِي وَمُتَعَةِ التَّوَصُّلِ لِحَلِّ مَسْأَلَةِ رِيَاضِيهِ، أَيْنَ هِيَ
جَلْسَتِي مَعَ أُمِّي لِلْمَذَاكِرَةِ، وَإِرْهَاقِ الوَاجِبِ المَدْرَسِي، وَالكُنْبَةِ
الْحَمْرَاءِ، وَالشُّورَتِ الأَخْضَرِ، وَصَوْتِ الشَّابِ خَالِدِ، كَيْفِ
أَبْكَيكِ يَا سُلَيْمَةَ وَأَنَا أَمْشِي فِي الرَّابِعَةِ صَبَاحاً خَارِجاً مِنْ
الحَفْلَةِ تَارِكاً الجَمِيعَ خَلْفِي وَيَدِي فِي جَيْبِي وَسُتْرَتِي تَحْتَضِنِي.
كَيْفِ أَبْكَيكِ يَا سُلَيْمَةَ وَأَنَا أَعْغِي وَحِيداً وَأَتَوَجَّسُ خَيْفَةً مِنْ
الْكَلَابِ الَّتِي تَنْظُرُ لِي فِي الطَّرِيقِ وَلَا يَزَالُ طَعْمُ الفُودَاكَ فِي
فَمِي، كَيْفِ أَبْكَيكِ يَا سُلَيْمَةَ وَلَا أَحَدٌ يَذْكُرُكَ.

الفرح فرحنا، ومن حبنا حبناه وصار متاعنا متاعه..

تاتا. ترلام... تاتا. ترلام

* * *

أدرك أن الموت لا يزال بعيداً، لكنني ذلك الصّباح قررتُ
القيام بتلك الزيارة التي طالما أجلتها ليوم أفضل مثل هذا.
غفوت في السيارة السوداء الفخمة ذات الزجاج المُعتم،
وحين انتبهت كانت الساعة لا تزال السادسة والنصف
صباحاً، مُرتدياً بدلتي السوداء ورابطة العنق ذات اللون المعتم
وفي عروة الجاكته وسام حارس معدة التين مُعلقاً، تنهدت
بحين علي سليمة ووضعت ذقني علي العصا التي أتوكأ عليها
وسرحت من النافذة حتى وصلنا للمقبرة التي تقع خارج
المدينة، فتح السائق لي الباب فزلت مُتكئاً علي عصاي البيضاء
المصنوعة من سن فيلاً أفريقي، مشيت بخطوات قصيرة تُناسب
عجوزاً في التسعين مثلي وخلفي يسيرُ السائقُ علي قدميه
خطوات أوسع لكن مُحافظاً علي مركزه في الخلف حاملاً
تحت إبطه الكرسي الخفيف المطوي، كل خطوة لها ثقلها
وكل حركة تنهكني أكثر لكنني استمررت في السير وسط
جبال الخردة وصفائح النحاس والمعدن والحديد حتى وصلت

لحافة الحفرة الواسعة كما لو صنعها نيزك؛ فرد السائقُ
الكرسي وثبته علي الأرض حيث جلست علي الكرسي
وطلبت منه الانصراف.

علي شفا جرف من نهاية حياتي، جالساً علي كرسي
يُطل علي مقبرته المفتوحة.. أه يا ماكفير، ها أنت مثلي صرت
اليوم يا صديقي. التجاعيد تُغطي كف يدي الاثنتين، ويسارك
أنت مبتورة بلا كف ويمينك مُتراكم عليها التراب وقد فقدت
إبهامها والصدأ أصاب كتفك، لدي حصوات صغيرة في المثانة
والحالب وأعاني من صعوبة في التبول وأنت لديك ثقب من
قاذفة أرضية فوق العانة، قدمي صارت أضعف ولدي مُسمار
بلاطيني مزروع في سَاقِي اليميني، وأنت تم تفريغ قدميك من
مفاصل الحركة وألياف الليزر الضوئية التي كانت تعمل
كأعصاب حركة سُرقت من داخلك واستخدمت كخطوط
تليفونات، ظهري يؤلمني علي فترات مُتباعدة ولا أستطيع
الجلوس طويلاً دون الإحساس بالألم في نهاية عمودي الفقري،
أنت انتهيت وترقُد بلا أية حركة هنا، الحوامة التي كنت أحلق
بها وأعناقك تجويفك الدماغية من خلالها موضوعة في المتحف
المدرسي مُجرد هيكل منحوخ، وجهك الجميل أصابه التشوه

والصدأ والشروخ، وعيني صارت أضعف.. أجريت فيها منذ
عشر سنوات عملية جراحية، بينما عينك صارت رمادية و
فقدت بريقها..

لست أنت من تحتاج إلي أن أصبح فيك اليوم ((ماكفير
انطلق))، بل أنا من أحتاج إلي من يضع يده علي كتفي و
يُربت قليلاً.

فككت من عروة الجاكيت وسام حارس معدة التين
وقذفت به في الحفرة/المقبرة، وسندت ذقني علي العكاز
وغفوت

* * *

كم هو طاهرٌ وعظيم هذا. أن ترى نفسك خالياً من كل
شيء إلا المشاعر النبيلة، الشيخوخة، الحكمة، العظمة، المعرفة
المُطلقة والقدرة علي الحزنِ لأجل الآخرين وما تخلفه التضحية
من سمو في الروح ونظرة إجلال واهتمام من الآخرين... لكن
كل هذا لا أتحمّل فعله ولا مُعاشته، قد يروقي لحظات أن
أتخيل نفسي أحمل خطايا الربِ وأبنائه، أو أشفق علي الضُعفاء
من حولي. لكن كل ذلك مُجرد خيال صغير استمتع به، أما
مُمارسته علي المستوي الفعلي فَمَلَلٌ ما بعده ملل وهم لا

أطيقه، لذا اسمحوا لي بالاستئذان للانصراف أمامي حياة طويلة
في الصبّاح !!

وتركتهم ودخلت لغرفتي لأنام، وحين استيقظت لم أجد
أحدًا في الشقة، نزلت الشارعَ لكنه كان خاليًا وما من بشر
أو وسيلة مواصلات لذا فقد قطعت الطريق في اتجاه البّار
الزجاجي مشياً علي الأقدام وحين وصلت لبرج بابل القائم
بوسط الميدان وجدته كومة تراب وحجارة. والجميع خرج
وتشتت في الأرض كلُّ يقف خلف سور حديقته.

Bring the boys back home.

طريق العودة من المدينة الكبيرة للبيت يُشبه بالكثير من
التفاصيل نفس الطريق الذي مشينا فيه عائدین من الحرب يوم
احترق التين في عين الشمس وسقطت عاصمة الأوغاد
الفاشست مُعلنين الهزيمة رافعين -نحن- راية النصر.. ارقصوا
و ابتهجوا لأجل هدية الله، الفرح فرحنا ومن حبنا حبناه
وصار متاعنا متاعه

* * *

ما أحلي الشمس حينما تسقط أشعتها علي الواحد دون
أن يشعر بالحر أو الرغبة في الاحتماء بالظل، وما أحلي السماء
بزرقتها والسحب ذات اللون الأخضر مُتناثرة في خفة مثلك
كأنما هي فرحة. أبرزت الرقعة التي كتبت عليها رسالة
الإمبراطور، أطلعت عليها الحارس فانحني احتراماً لقدسية اسم
جلالته وأشار لحارس البوابة فشدت السلاسل وانفتح الباب
مُتاقلاً ((أهلاً بضيف جلاله الإمبراطور في أرض الأندلس،
عربة القصر تنتظرك))

تذكرت السندريلا وأنا داخل العربة الوثيرة، فنظرت
لخدائي لأتأكد من نظافته و لمعة لونه الأحمر، فككت أزرار
عباءتي الحمراء ووضعت في عروتها وسام حارس معدة التين،
وفي بهو قاعة الخطابة وقفت بجوار ألفين وخمسمائة أمير
وقنصل ومبعوث دولي حتى اعتلي الإمبراطور المنصة وقد
ضرب علي وجهه غُلاله بيضاء تستر وجهه السماوي الكريم،
اقترب من الميكروفونات الموضوعة أمامه ورفع حجابهِ ودوت
الموسيقى. أوركسترا كاملة من ستمائة عازف تُصاحب صوته
العميق الثقيل كما الحجر الذي أخذ يتناغم مع الموسيقى
فيخفت في مناطق ويعلو في أخرى، ويمتد في آهة طويلة
ليمسك عليه لسانه في مواضع أخرى.. وحينما اقترب من
النهاية كان الجميع بمن فيهم أنا يتصبب عرقاً وقد دنت
الشمس من رؤوس القوم فمنهم من غرق في العرق لكعبه
ومنهم من غرق لركبته ومنهم من غرق لصدره ومنهم من
غرق لعنقه، لكن مع ذلك كان الجميع مُنفعلاً مع كلماته
تلهبه حماسة أفكار جلالته وحين انتهى صرخ الجميع في جنون
وصفقوا حتى التهبت كفوفهم بينما أحاط الحرسُ بجلالته
وانسحب من المنصة لغرفة تبديل الملابس.

بعد ذلك كان هناك فاصل لتناول الشاي والقهوة والمياه
المحلاة وعصير العسل وعصير لسان العصفور ومائدة بسيطة
من الحلويات الخفيفة التي ضمت أنواعاً صنعت علي يد أمهر
صُنَاع الحلويات في كواكبِ المُجمُوعَة الشمسية. ثم صعد
السيد الرئيس في بدلته الزرقاء وبدأ حفل تكريم المُحَارِبِينَ
القدامى، ببناء أسمائهم والمن عليهم بشرف مُصَافِحَة السيد
الرئيس والتصوير معه وتسلم ميدالية لا أذكر درجتها ولا
نوعها وشهادة مكتوبة بالخط الإمبراطوري الذي تكتب به
المراسم السيادية، ومن المكرمين ميزت اسم ووجه جارنا
الجواهرجي مما بعث في قدراً من الحنين وذكرى جرح بعيد
في الركبة حتى أني فكرت في الذهاب إليه ومُصَافِح تته وتقديم
زجاجة مياه لكن تم النداء علينا ثانية لحضور مأدبة الغذاء التي
امتدت علي طول ستة كيلومترات يحوطها من الخدم مَنْ لم
أستطع تحديد عددهم، لكن لم يكن لي مزاجية للأكل لذا
اكتفيت بذيل بعروتر-تين صغير- وشورية لسان عصفور
وفاصوليا وعين ماعز جبلي مقلية.

دقت الموسيقى العسكرية فاتجهنا للشرفة، حيث ارتفع
صوت الأبواق والطبول والجيتار الكهربائي، ومن الشرفة

شاهدنا أبواب السماء تفتتح قشرتها الزرقاء وتمزق لتأخذ شكل طاقة نور رباني، ويمتد من السماء سلم طويل من قوس قزح حتى يصل لحديقة القصر وعلي السلم شاهدنا جيش الإمبراطورية المليونى المنتصر العائد من الحرب يهبط لساحة القصر علي صوت الموسيقى العسكرية الفخيمه يتقدمه حملة الأعلام ثم كتيبة الشرف الطاوسى مُزينة بالريش والملابس العسكرية والأزرار الذهبية اللامعة، يليها لواء الدبابات ثم المركبات العسكرية تحرسها الطائرات وطيور الرخ المعدنية بعدها كتيبة المشاة البرية بأحدثهم الجلدية السوداء والكلاب الوحشية المُدربة ذات الرؤوس الثلاثية ثم لواء المدفعية يصحبه لواء الصواريخ النووية والمضادات الجوية وخلفهم الأفيال الحبشية يجرون زنازين ضخمة حشر فيها أسري الحرب من جيوش الإمبراطور وقد بدت الهزيمة في ملابسهم المقطعة وجروحهم الدامية يتبع الأفيال ديناصورات أعظم حجماً تجر عربات عملاقة عليها ما تبقي من برج بابل، واستمر هبوط الجيش من طاقة النور الرباني في السماء يوماً أو بضع يوم وحين غربت الشمس كان الجيش كله قد اصطف في الحديقة التي لا يعلم أحد منتهاها، توقفت الموسيقى لثلاث دقائق

ودوت . طلقات المدافع وإحدى وعشرين مرة فخرج
الإمبراطور من شرفة تعلو شرفتنا لتعود الموسيقى من جديد
ومعها يصدح صوته بأغنية الحنين الإمبراطوري..

-)) أولاً!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!دى.....

* * *

أكون في السرير أحاول النوم، ألعب بأصابعي أو أفكر
ماذا سأفعل غداً أو أتخيل نفسي اركب جسد فتاة وأمارس
الجنس معها ففي ذلك الوقت كان كل شيء مختلطاً في رأسي
- كأنه لم يعد كذلك الآن!-. يفتح الباب قليلاً فيدخل
الضوء، أحتضن الوسادة أكثر وأغمض عيني ثمس أمي باسمي
فلا أرد وأتظاهر بالنوم..

-هل لا تزال مُستيقظاً؟

لا أرد. تُغلق الباب وأحلم بكابوس لا أحد فيه يرد علي
والكل يتظاهر بالنوم أو بأني لست موجوداً.

ਅੰਤਿਮ

ਦੀ ਆਖਰੀ ਸ਼੍ਰੀ ਗੁਰੂ ਗ੍ਰੰਥ ਸਾਹਿਬ ਜੀ

ਦੀ ਸ਼੍ਰੀ ਗੁਰੂ ਗ੍ਰੰਥ ਸਾਹਿਬ ਜੀ

There is no pain you are receding
A distant ship, smoke on the horizon.
You are only coming through in waves.
Your lips move but I can't hear what
you're saying.

حينما بدأت كتابة هذه اللعبة لم أكن أعرف إلي أين
تقودني قدمي، فقط كان هناك الصفحة البيضاء والموسيقي
وحكة في اليد تؤلمني أعرف أي لن أتخلص منها إلا بالكتابة
وأعرف أنه كلما كانت هذه الكتابة مُمتعة وتمتلي بالألعاب
فسوف تُدغدغني النشوة وأنا أكتب وكلما زادت الألعاب
سوف أضحك وأستمع أكثر. لكن الموسيقي دفعتني دون أن
أشعر لمنطقةٍ أخرى وجدت نفسي أكتب النصوص التي
أعجبتني وأسرقها من أصدقائي وأدجها مع بعض البهارات.
وجدت الموسيقي تدفعني أكثر داخل نفسي أكتب عن طفولتي
وعن الشورت الأخضر والشورت الأزرق أكتب عن شارعنا
وعن أمي وجددي الذي واكب احتضاره ووفاته هذه
الموسيقي، عن الحقول الخضراء والشمس، عن خيالات
الطفولة التي تبدو لي الآن كشابٍ ناضجٍ سطحية أكثر من
كونها مُسلية وجدت الموسيقي تدفعني إلي الاسترخاء، إلي

الإحساسِ بمتعةِ اندفاعِ الهواءِ إلي وجهي من جديدِ إلي الحلمِ
بأن أكون شجرة، أو أليس في بلاطِ ملكة الكوتشينة، أو
حوت يسبح في السماء، أو سكير فوق أريكة حمراء، أو طفل
يقود دراجته فوق الحصى..

وها أنا هنا الآن خاضع تماماً للمتعة، مُستلب العقل تقود
الموسيقى روعي ويدي أكثر فأكثر إلي حيث لا أدري.
دافيد جليمر علي الجيتار... شكراً.

.

..

...

ولا بد من إكمال الحياة.

Ooooh, Ma, Ooooh Pa,
Will I remember the songs?
The show must go on.

الشقراء كما الفراشة كان لديها الكثير من الأصدقاء،
واحد منهم كان لديه سيارة أوبل خضراء، وذات ليلة في
حفلة لدي عدد من أصدقائهم مع موسيقي وفودكا ونيذ
حلو وسجائر وبطاطس مُحَمَّرَة.. أهلك الرقصُ الجميع
فجلسوا في آخر الليلة يُثرثرون. أطفئوا النور وأوقدوا شموعاً
ذات رائحة عطرية؛ تحدثوا عن الموسيقى والأفلام والسفر
وبلدان مختلفة وفي النهاية واحداً بعد الآخر أخذوا في قول
(باي باي)). خرجت الشقراء مع الفتى ذى العوينات
صاحب السيارة الأوبل الخضراء كانت الخطة أن يوصلها
للمنزل وبعدها يذهب هو للنوم. لكن وهما في السيارة عبرت
عن رغبتها فجأة في رؤية البحر، تبسم هو ابتسامته الهادئة
وقال ((بسيطة جداً)) أدار السيارة وأنطلق علي الطريق
الصحراوي في اتجاه البحر.

كان الولد يدرس الفلسفة وله اهتمامات رفيعة المستوي
بالمنطق والوجودية والشيوعية وقراءاته تتوزع بين الانجليزية
والعربية، يهوى موسيقى الروك والميتل ولديه في غرفته

بوسترات لايريك كليبتون وسيجموند فرويد. الشقراء كما
الفراشة علي الجهة المقابلة كانت تهوى الغناء قبل النوم وفي
الحمام بصوت مُنخفض وتقرأ الأدب والشعر وتتذوقه
بحساسيةٍ عاليةٍ وتُحب شرب القهوة والنيبذ وتأكل
الشيكولاته بشرأهةٍ وتمتلك عيوناً خضراءً ونسخة من كتاب
الطاو بالانجليزية.

استيقظت وهم يعبرون من بوابة المدينة الساحلية
والساعة تقترب من السادسة صباحاً؛ قال ((صباح الخير))
ورمى بعقب سيجارته من النافذة، ضغط علي البترين أكثر
فاندفعت السيارة بسرعة علي الكورنيش الخالي من المارة
والسيارات في مثل هذا الوقت.

فتحت النافذة وأخرجت رأسها، أخذ الهواء يُطير شعرها
حتى وصلا إلي الكوخ الخشبي ذي الجدران الخضراء المُطل
علي الشاطئ. أوقفوا السيارة، خلعوا أحذيتهم وتمشوا حفاة
علي الرمل. أنعشهم هواء البحر وصوت الموج واسترخت
أعصاب الاثنين أكثر. أخذوا يغنون معاً أغنية مرحة بطيئة
الإيقاع ولم يكن هناك أحد علي الشاطئ سواهم.

في أقل من نصف ساعة كانوا قد بدؤوا يشعرون بالبرد خصوصاً مع ملابسهم الخفيفة وعاد إثمك الليلة الماضية يتسلل إلي أجسادهم فذهبوا للكوخ الخشبي ودخنوا سيجارتين. شرب الاثنان من زجاجة مياه واحده حيث لم يكن هناك غيرها وتخففوا من ملابسهم وناموا مُنهكين علي سرير واحد كإخوة طبيين.

أنا أيضاً لدي حكاية مُماثلة لكن مع رتوش صُلبه من أرض الواقع فبعد أن انتهت حفلتنا بعد مُنتصف الليل لم يكن لدينا أنا وسُليمه مكان نذهب إليه، ولم يكن من الممكن أن نعود لشقتي في مثل هذا الوقت المتأخر حيث يعقوب هناك مع رفقة من أصدقائه لا تقل عن خمسة أفراد لذا فقد أخذنا نتنقل طوال الليلة من قهوة إلي مقهى ومن مقهى إلي قهوة حتى طردتنا جميعها، مشينا في الشوارع الرئيسية مُحاولين تجنب عربات الشرطة ومجموعات الشباب التي لن ترحم ولداً هزيل الجسم مثلي وفتاة يسيرون في مثل هذا الوقت. لم يكن لدي سيارة أوبل خضراء ولم تكن هي تحب الشيكولاته بالإضافة إلي أنها لم تعبر عن رغبتها في مثل هذا الوقت في رؤية البحر؛

لذا لم يكن أماننا سوى تمضية الليل في المواصلات العامة
انتظاراً لشرقِ الشمس.

اخترت أكثر ميكروباص يضع الوقت ويذهب إلى أبعد
نقطة في المدينة وركبناه محتمين بعجلاته الأربعة ومقاعدته من
عربات الشرطة والشباب الذي لا يرحم، نمنا علي أنفسنا من
الإهناك والحزن والغربة، ومن نوافذه الضيقة شاهدنا شروق
الشمس، تألنا من المطبات ووعورة الطريق وسرعة السائق
المزعجة والمقاعد الضيقة، فتح راكبُ آخر الشباك فدخل
الهواء البارد وطير شعرها، أزعجني الهواء وأزعجها وشعرنا
بالبرودة التي لم تحمنا منها ملابسنا الخفيفة فطلبنا منه إغلاق
النَّافذة، ففتح راكب آخر شباكه..

ذهبنا إلى أبعد نقطة بالمدينة ((آخر الخط يا بهوات)) نزلنا
إلى الميدان وكانت السَّاعة السادسة. لحظتها كرهت هذا
الميدان وتألَّت هي من وحشته وفراغه من الناس. لذا ركبنا
ميكروباص آخر ليعود بنا من حيث أتينا ((آخر الخط يا
بهوات)). كانت الساعة السَّابعة والوقت يَسْمَح بالعودة
للمترل؛ شربنا من زُحاجة مياه واحدة وخلعنا أحذيتنا ولم

يكن لدينا القوة حتى للتخفف من ملابسنا. كجثتين ارتمينا
علي المرتبة.

في أحلام ذلك اليوم زارتني الشَّقراء كما الفراشة كانت
تجلس في مقهى راقٍ تشربُ قهوَتها الصبّاحية وتنظر من
خلال الزجاجِ إلى البحرِ الذي تحبه كوالدها.

هكذا كانت جلسة الحوت
والفراشة: حشيش وماء وقرنفل

There's one smoking a joint,
And another with spots!
If I had my way,
I'd have all of you shot!

ما زلنا في الحديقة؛ هضاب خضراء ونوافير أرضيه
تنساب المياه منها بنعومة نتمشى مُمسكين بأيادي بعضنا
البعض، جلسنا علي أريكة خشبية وقلتُ وأنا آخذ نفساً
عميقاً، ما أجمل الحياة!

وكان صوت الطبول والصياح مازال يتبعنا

* * *

لأني الابن الأول لأبي، والحفيد الأول لجدي فقط كنت
الأكثر تدليلاً بين الجميع، وهكذا كنت النافر باستمرار من
الطعام، نحيف الساقين والذراعين، بشعرٍ مُجعد، وعيون
عسليه، وجروح في الركبة من أثر السقطات من علي
الدراجة، وأمام حالة كهذه كان من الطبيعي أن أُعاني
باستمرار من الانفلونز والتزلات المعوية وارتفاع درجة الحرارة
مصحوبة بالكحة والعطس والدوخة والتقيؤ. ولما كانت تلك
الحالة مُتجددة ومستمرة فقد يئسوا في العائلة من حبوب

المضاد الحيوي، والحقن والجلكوز وأثار سنون الأبر علي طول ذراعي وعرض أردافي، وبدت كلها وسائل علاج تقليديه لا يمكن أن تنجيني من العين التي أصابتني والفيروس الذي نجح بحمد الله في إغلاق جيوب الأنفية وتكوين طبقة كُلاسيه من البلغم علي حنجرتي حالت دون مُحاولتي لبلع أي شيء حتى لو كان شربه مياه، لذا أخذ أبي القرار مُنفرداً دون أن يخبر أي أحد في العائلة ولا أنا أيضاً، قلبي قبل النوم وقال لي في الغد يجب أن أستيقظ مُبكراً لأنه سيأخذني إلي طبيب أنف وحنجرة.

أخذت أمرجح قدمي في عيادة الطبيب وأنا جالس علي الكرسي في صالة الانتظار، حتى دخلنا إلي الطبيب القصير ذي الشعر الكثيف والشنب الكث. طلب مني أن أفتح فمي وأدخل "خافض اللسان" المعدني داخله ومن واقع خبرتي دون أن يطلب مني كنت أقول بصوت مرتفع نسبياً ((آآههه))، فيخرج الخافض ويطبب علي كفتي ((شاطر يا بطل)) بعدها أذكر نفسي مُستلقياً علي سرير ما في العيادة ورائحة مَدُوخة تنساب لأنفي، ثم نوم ثقيل، استيقظ بعده لأجد نفسي في غرفة أخرى وعلي سرير آخر، بجواري أبي وخالي عاجزاً عن

الكلام شاعراً بإعياء لا نهاية له ورغبة في التأوه لكن ألم حنجرتي يحول بيني وبين صوتي.

أحضروا لي عصيراً بارداً وآيس كريم، وكان كل هذا يؤلمني لكن كان لا بد من المشروبات الباردة حتى يلتئم الجرح سريعاً. جاءت أُمي مفزوعة، لم تكن تعلم شيئاً ولم تأخذ أي استعدادات فقط كانت تعد الطعام في البيت حينما اتصل أبي بها وطلب أن تجهز لي غيارات داخلية وملابس جديدة وترسلهم مع ابن أختها إلى عيادة الطبيب ذي الشنب الكث، لكن أُمي أحضرت الملابس بنفسها ودخلت غاضبة ومُتمتعضة من أبي رغم أنها تعرف أن هذه هي عادته في مثل هذا الظروف، لا يُخبر أحداً، يتحمل المسؤولية وحده، يخترن الألم في صدره، فتتراكم الحصوات في كليته، ويصرخ في الليل طالباً حقنة "السافجين". وفي كل الحالات كانت هي تحتويه في صدرها وتمشي بيديها علي جسده وهي تتمم برقية مجهولة وأدعية موعلة في القدم، وبالمثل أخذتني في صدرها تُداعبني وتناغشني خطوة فخطوة لكي أتمكن من إنهاء علبة العصير وهي تحرس كل رشفة برقية ودعاء لا أتبين معناه.

ولأبي قضيت ست ساعات نائماً في البتج، ومُنهكاً
بشكل لا يسمح لي بالعودة للمتزل، ولا يمكنهم المغامرة
بانزالي إلى الشارع ونقلني للبيت في سيارة أبي لأن في ذلك
احتمالات كثيرة لإصابتي بترلة انفلونزا جديدة ستمثل خطراً
كبيراً علي طفل قد خرج لتوه من عملية استئصال للوز. وبناء
علي ما سبق فقد استقر الأمر علي بقائي مثلما هو الحال هنا،
علي أن يجلس عمي الأصغر سنأً معي ساهراً يحكي لي فيلم
لص بغداد.

And if you're taking your girlfriend
Out tonight
You'd better park the car
Well out of sight.

- يا مساء الخيرات

ودخلنا نحن الثلاثة إلى الشقة، حاتم يُعد الشاي، ومحمود
يفرد دبوس الحشيش، وشادي يتحدث لمحمد، خلعنا أحذيتنا
وخطونا علي السجادة، توجه كريم للكاسيت لاختيار
الموسيقي، وجلست أنا وإيهاب بجوار بعضنا البعض، أعطيت
سيجارة فأشعلها وأشعل سيجارتي.

أخذت أول نفس، فشعرت بحرقه في الحلق ومددت يدي
للزجاجة لأشرب، انفجر شادي فجأة بالضحك وهو
يُشاهدني أمرر لساني علي شفتي بعدما أنزلت الزجاجة من
عليها، فتبعته بقهقهة وخلفنا الجميع، شتم إيهاب حاتم لأنه لم
يُقابله بالأمس وجعله ينتظر علي القهوة لمدة ساعة بلا فائدة
ولا معني، فتذكر محمود نُكته، ورد حاتم بأنه آسف وأصر
إيهاب علي أنه نذل، فبدأ محمود في سرد النكته، وجاوب
حاتم بأننا مش عايزين وجع دماغ، فأنتهي محمود من نكته
وانفتحنا مرة ثانية في الضحك. حتى شعرت بألم في معدتي،

وعجز تام عن التوقف عن القهقهة. حين هدأنا ونحن نلتقط أنفاسنا شعرت برغبة في التبول فقمْتُ مُتَجَهًّا للحمام بعدما وضعت قدمي في الحذاء وقد جعلته خفًا مُتَكَاسِلًا عن لبسه بالكامل؛ دفعت بَابَ الحَمَامِ ومددت يدي في الظلام أبحث عن مُفْتَاَحِ النور، حين ضغط عليه، وجدت نفسي حَافِيًا في حَمَامِ بيتنا القديم عمري ست سنوات أو أقرب قليلاً واقفًا أتبول وقد أخرجت عضوي الصغير مُحَاوِلًا تفادي تلوين قاعدة الكابينة بالمياه الذهبية، حين انتهيت رفعت الغيار الداخلي السفلي يليه السروال وفتحت بَابَ الحمام خَارِجًا لأمشي في طرقة ذات إضاءة صفراء خافتة، حتى وصلت للصَّالَةَ فجلست علي أريكة حمراء، وتناولت بقية زُجَاجَةِ البيرة لأرفعها إلي شفتي، علي يميني تجلسُ سُلَيْمَةُ تتحدث مع واحد أو واحدة وغيمة من السواد تحلق حول رأسي، وصداع بداخله لكني مع ذلك مُبْتَهَجٌ خصوصاً مع وجود سليمة التي ترتدي جونله حمراء فضفاضة موشحه بنقوش أندلسية سوداء، وتي-شيرت أزرق مفتوح الصدر يكشف مفرق هديها، مددت قدمي أمامي وأخذت أنظر لِحَذَائِي وفي تلك اللحظة بدأت أغنية أحبها... امرأة تدندن كأنه صوت نتاشا أطلس،

فابتسمت برضا وأحطت بذراعي سُليمة، وجذبتهفا فاستدارت
بوجهها نحوي وبدا كأنما انزعجت من قطعي لمُحادثتها لكنها
ابتسمت..

هل ابتسمت سُليمة في تلك اللحظة كمُجاملة لي أمام
الحضور لتخفي انزعاجها من مقاطعة محادثتها مع الرفيق حول
التمييز ضد المرأة، أم كانت الابتسامة لأنها رأت السعادة علي
وجهي، من يدري ربما كان الأمر لا يتجاوز أن ذراعي قد
دغدغت ظهرها. بأي حال فقد ابتسمت سُليمة، وفي تلك
اللحظة وفي ذلك المكان كانت ابتسامة سُليمة تعني لي الكثير.
هذه الابتسامة المُقتضبة التي مازلت إلى الآن أحاول تفسيرها.
دفعت الغيوم السوداء من حول رأسي بعيداً، أشعرتني بالخفة،
خفة الكائن المثيرة للتحديق عالياً.

بذراعي الموضوعه حول سلمي وبإحساس يدي ببلدونه
ذراعها مع ابتسامتها كنت أدرك أنني في هذه اللحظة أمتلك
سُليمة، استسلامها لذراعي وابتسامتها تعني أنها الآن قد
حسنت أمرها، تعني أكثر أنها صارت لي.

هذا الجسد وهذه الروح وذلك الوجه الطفولي الشفيف
قد أعلن بتلك البسمة تنازله الكامل عن نفسه لصالحه بعد

مُطَارِدَةٌ استمرت لأكثر من شهر حينما تقابلنا أول مرة، وفي تلك اللحظة من الطبيعي أن يشعر الواحد منا بمثل تلك الخفة الخادعة التي تبثها غدة الامتلاك من خلال هرمون النشوة، فكالمغفل لا يفكر الواحد في الثقل الذي تضيفه هذه الملكية على وجوده، ولنفرض أنك فكرت.. ماذا يمكنك أن تفعل، هل باستطاعتك أن تقاوم ابتسامة سُلَيْمَة، ثم لنفرض أنك تَمَلَكْتِ نفسك وتَهَرَبْتِ من ابتسامتها -التي حتى الآن مازلت عاجزاً عن تفسيرها- ماذا تفعل وقد أمسكت وجهك وتقربت أكثر على مرأى من الجميع وقبلتك؟

هل ترفض قبله من سُلَيْمَة، من ذا الذي لا يقبل قبله سُلَيْمَة.

* * *

للمُحَافِظَة عَلَي الطَّهَارَة.

أن تكون الابن الأكبر في أسرة شابة فهذا لا يوفر الكثير من المُميزات فقط بل يجعلك فأر التجارب التي يكتسب منها الشبابان خبرتهما في التربية وفي تكوين لُبْنِه في مُجْتَمَع صَالِح طَاهِر. وللمُحَافِظَة عَلَي هذه الطَّهَارَة فقد كان هناك مجموعة

من القواعد أهمها علي الإطلاق وأصعبها في التنفيذ عدم
تلويث قاعدة الكابينة البلاستيكية.

فلأني طفل كسول فقد كنت أحاول طوال الوقت أن
أسيطر على مثنائي أثناء اللعب وأكتم البول فيها حتى لا أضطر
للصعود لمزلتنا والتبول، وحين كنت أفعلها فهذا يعنى وصول
الأمر لنهايته وامتلاء الخزان/ المثانة تماماً، لذلك فقد كانت
عملية التبول في البداية يصاحبها سرعة في الأداء وركاكة في
الأسلوب وبإضافة الكسل فقد كان ينتج عنها عدم رفع
القاعدة البلاستيكية للكابينة والتبول واقفاً مُحاولاً تفادي
تلويثها للمحافظة على طهارة مترل شاين حديثي الزواج
والإنجاب.

هذه الذكري التي عبرت في رأسي الآن تجعلني أفكر أيضاً
في الخفة التي تحدث للواحد منا بعد إفراغ الخزان تماماً، وأبالغ
في مقارنة استعارية لأعتبر أن مسألة التبول تُشبه سعي الواحد
للبحث عن الخفة.

أتذكر بمناسبة هذه الذكريات الطاهرة سليمة؛ ولنقل أنه
ذات يوم مر الواحد بفترات عصبية وسوداء حقيقية كان فيها
مُثقالاً بالكثير من أثقال الحياة التي تعوق عملية تحليقه وتمنعه

من أن يكون خفيفاً، وفي مُحَاوَلَة منه للتخلص من هذه الأثقال يسعى بجهد لهدم الجدار الذي يحيط به حجراً بعد حجر، وكانت هذه أياماً سعيدة حقاً، فالضوء ينفذ للروح بعد كل ضربة معول والخطوة تصير أخف بعد كل حجر نلقيه في الماء والبهجة بدأت تدخل باستحياء، وأمام هذا الاندفاع نحو الخفة يلتقي الواحد بمن هي مثل سُلَيْمَة. بوجه طفل وجسد ضئيل يُناسِب روح فراشة وفي اندفاع الخفة يميل الواحد أكثر باتجاه اللعب، فمن سوي سُلَيْمَة جدير بأن يشارك الواحد اللعب؟

واحدة من اليمين، وواحدة من اليسار لتري نفسك مُستلقياً فوق صخرة طائرة أعلى صحراء حمراء وفراشة صفراء تنصبُ على خصرك.

* * *

حاولت أن أكون أكثر تأثقاً في ثاني مرة، مشطت شعري جيداً، قاومت الكسل وكويت القميص المُهفّف ارتديت الجيتر الأسود وفي الطريق فكرت في كيف أنه قد يكون مظهري المنكوش في اللقاء الأول أحد العوامل التي جعلها تنجذب أكثر إلى طوال السهرة وتقبل بابتسامة دعوتي للقاء مرة ثانية، ماذا لو كان هذا التأثق الذي وضعت نفسي

فيه لا يروق سُليمه. في الواقع ليس هذا بالأمر الهام وإذا كنت لا أروق لها، فيلا هيبلا هوب والمركب اللي تجيب ممكن تودى..

لكن اللقاء الثاني جر اللقاء الثالث تبعه اللقاء الرابع فصارت هذه اللقاءات مثل حُقن البهجة التي وصلت ذروة نشوتها مع أول قبلة.

* * *

قبل النوم ظللت علي الفراش أفكر وأرسم كل خطوة سأقوم بها غداً، ولأني أعرف قاعة العرض وقد سبق لي زيارتها في معرض سابق فقد كانت جغرافيا أرض المعركة واضحة بكل التفاصيل. سوف ندخل معاً إلي المعرض.. نقف أمام أول لوحة ناحية اليمين أشير بيساري إلي تفصيلا ما في اللوحة وأقترب منها، نمشي من هنا.. عبور خفيف من أمام اللوحات ثم توقف مرة ثانية أمام اللوحة التي ستكون مُعلقة على العمود المُلتصق بالحائط، هذا المرة تقتضي الخطة الميلان أكثر للهمس في أذنها حتى مُلامسة شعرها القصير نسبياً لوجهي، يصاحب هذا الأداء تلمس حرير الخصر الدافئ بالذراع اليمني مع ملاحظة التناسب بين الخفة والثقل، بهدوء دون أي مظهر من

مظاهر القلق أو التوتر... نبدأ بالقبلة الأولى علي الرقبة التدرج بعدها تدريجياً حتى الفم مع الاعتناء بالشفة السفلية أثناء التقبيل.. هكذا كانت الحطة كتبتها في رأسي ووضعتها تحت الوسادة ونمت على الماء.

وفي الصباح حينما تقابلنا، قررنا المشي بدلاً من ركوب الأتوبيس للوصول للمعرض؛ في الطريق أخذنا نتحدث بلباقة في البداية ثم بشكل كوميدي يحكى كل واحد للأخر أكثر المواقف المضحكة التي مر بها، قسمنا بيننا بلاطات الرصيف، الأحمر لها والبيج لي وأخذنا نلهو بالقفز على الرصيف بجوار الكورنيش، أمسكنا أيدي بعضنا البعض ولغينا فكرة الذهاب للمعرض واقترحت هي:

-ماذا لو مشينا هكذا إلي الأبد في خط مُستقيم

-عادي يعني، هنرجع لنفس المكان اللي احنا فيه، لأن

الأرض دائرية

توقفت لحظتها ونظرت لي، البحر كان خلفها وشعرها تدفعه الريح، وضعت يدها في جيب معطفها وحبكته أكثر على جسدها ثم نظرت باتجاه الخط المستقيم:

-يعني أنت مش زكى علشان عارف إن الأرض دائرية،

ومش مهم هنوصل لإيه.. المهم نتمشى

-خلاص نتمشى

وضعت ذراعي على كتفها، وأحاطت هي بيسارها

حصري، مُتَعَانِقِينَ مَشِينَا. هذا أيضاً من لحظات الخفة الخادعة

أو هكذا أدعي مُحاولاً إقناع نفسي.

* * *

"كانت المرة الأولى له ولها أيضاً، لذا فقد كان يعملان

بصمت" قرأت هذه العبارة في مكان ما لكني لا أذكر أين؛

رغم أنها كانت تتردد في ذهني وأنا أراقب نفسي في المرة

الأولى..

هذه إحدى مُميزات امتلاك خيال خصب وخلفية معرفية

جيدة، كنت أقود حركة يدي بوعي قائد عسكري، بدأنا

بقُبلة، واقتراب خفيف.. عمل مُركز بالشفاه من الخارج فقط

بعدها يَخرجُ اللسانُ كأفعى تَتَحَسَّسُ تُفَاحَةَ الجِنَّةِ، بلطف يلج

اللسان بين الشفتين، والآن تتكئ بثقلك على جسدها تستلقي

على السرير، هنا يجب الانتباه لعمليّة فك الأزرار ببطء مع

المُحَافَظَة علي اللسانِ كجُندي المُقدمة، ومُراعاة أن تبدو

عملية فك الأزرار وكأنها لا تحدث أساساً عموماً يتم ذلك بتواطؤ الطرفين مع الاقتصار على الأزرار التي تكشف فقط حقول التفاح.. من هنا يمثل الأمر صعوبة كبيرة لكن على الجندي أن يُحافظ على التزامه بالخطط الاستراتيجية الموضوعية من قبل القيادة..

لقد كدت أن أبكي في المرة الأولى يا سليمه، وأنا أمسك هذا النهد ببياضه الشاهق وحلماته العاقمة، ظللت مذهولاً وأنا أتلمسه بأصابعي وأضغط عليه، أدور بسبابة كفي حوله في دوائر ضاحكاً كطفل.

أي نوع من العطايا الربانية هو جسدك

* * *

ليس دائماً لكن في لحظات كثيرة تحت الضوء.. فعلاً أحس برغبة في البكاء أمام جسدها ليس بكاء من النوع المسيحي ولا الإسلامي، ليس بكاء الهزيمة ولا الخشوع بل بكاء الجسأل، اللحظة التي تستكثر فيها كل هذا الجسد بنعمته ولدونته والدفء المنبعث منه علي نفسك.

أذكر لحظات كهذه داهمتني في فترات من صباي كنت أقف في المرأة مُتأملاً جسدي من كل الأوضاع، أضع يدي

على كتفي وأتركها تترلق بسبب نعومتها، أنظر لنفسي من الخلف أتأمل ظهري والمنحنى الغائر لعمودي الفقري، أرى جسدي جميلاً كأنه ليس مني يُدهمني البكاء وبهجة الجمال في وقت واحد... لكن ولا مرة من هذه المرات بكيت. مع سُلَيْمة كنت أقبل النهدي وأمشي بعيني وشفتي علي بقية جسدها؛ هذه صوفية أفهمها.

أفهم أن أهبط بوجهي ولساني من جبهتها ككلبٍ مُطيع بروح عاشق، أفهم أن أجلس على الأرض مُتَكِّمًا على السرير قاضياً أصابع قدميها بأسناني مُتأملًا الجسد المسترخي ونبضات اللذة تعبر به كلما فاجأته لمسة.. والذراع مسترخٍ بكسل والعيون مغلقة.

* * *

بعد الانتهاء من مُمارسة الجنس، استلقيت نائماً على بطني هادئاً طيباً كما الملاك، وعلي ظهري استلقت هي، أكثر هدوءاً مني؛ ابتسمت في شيء من الرضا وأنا أشعر بنهديها مَضْعُوطين علي ظهري، وشعر عانتها القصير الحشن مُلتصقاً بأعلى مؤخرتي، وأقدامنا تحتك ببعضها البعض، مدت يدها وأمسكت كف يدي وهي علي هذا الوضع. حاولت أن

أقلت يدي منها لكنها أصرت علي إمساكها وقبضت عليها
بأصابعها الضعيفة، ضغطت بقوة كأنما تؤكد تمكنها مني،
أمكنني ساعتها أن أسمع ضربات قلبها تتردد في ظهري،
سألتها:

-مالك؟

-مفيش..

-بجد مالك؟

-مفيش...

ضغطت نفسها أكثر على ظهري، زادت من إمساك
كفي، وتنهدت بعمق فخرج نفسها ساخناً في خدي وأذني.

* * *

الفراشة الصفراء لم تكن تغلق عينيها، حتى حينما تصل
للنشوة كانت تفتح عينيها وتُبحلق في السقف وهي فاتحة
شفتيها دون صوت، تصل دون أصوات، فقط قد يؤلمها
الولوج لكن بخلاف ذلك تُحافظ على صمتها مُكتفيه ببسمة
بين قبلة وأخري.

في البداية بدا الأمر مُسلياً بالنسبة لي كنوع من التحديد،
في المرة الثانية كانت عيناها حتى أثناء القبلات الطويلة

مُسترخية لكن مُفتوحة كأنما تراقب بكسل، الثالثة فعلاً بدأت أتوتر لكن هذا لم يكن السبب الوحيد لكي أترك الفراشة تُحلق بعيداً فجسدها المثالي كان يؤلمني، كل ما فيه كان مُقاساً بدقة كأنما تم تفصيله بالطلب، الشعر الأصفر والعيون المنونة الأظافر الطويلة المُقلمة، النهدي الصلب القائم مُستنداً على الصدر، الخصر الدقيق، البطن المستوية والعانة المُقصّوة والساقان الطويلتان حتى أظافر القسا بظلالهما الأحمر القاني... بدا جسدها خارجاً من خيال مرأهق يحلم بفتيات الإعلانات لكن دون أية علامة تميزه. ليس هناك ولو ترهل خفيف في البطن، أو ظفر مكسور أو ندبة في الذقن لن يحدث وأنت تتحسس بكفك ساقها أن تحس تحتك بشعره نافرة أو مبسم مفتوح لشعر مقصوص، لن يحدث أن تجذب حسنة سمراء عينيك بعيداً عن بياض الجسد، هذه العناية الفائقة بكل التفاصيل الصغيرة لا يمكن مُقاومتها لكن أيضاً لا يمكن الاستمرار معها للأبد.

حكى لي يعقوب القناوي ذات مرة عن فتاة كانت معه في الكلية، ترتدي مُعظم الوقت بنطلون جيتز ضيق من الأسفل وواسع من أعلي، وفوقه معطف ملون بأشجار وورد؛ ملابس

جيدة لكن قديمة خصوصاً مع شعرها المربوط في ضفيرة ومهوش دون أي اعتناء، ومع كل هذا فهي متروية بعيداً عن الجميع تكتب المحاضرات وكل كلمه ينطقها الدكتور. تُذاكر باجتهاد وتنجح بدرجات عالية أقرب للتفوق، صامته، تأتي وحيدة وتنصرف دون أن يشعر بها أحد. وفي يوم جاء مقعد يعقوب بجوارها لم يلتفت لها في البداية، لكن أثناء المحاضرة أوقع كرأسه بكوع ذراعها دون أن يقصد انحنى الاثنين معاً لالتقاط الكرأس فوقعت عيناه على وجهها عن قرب بجبهته الضيقة وأنفها الرفيع والزغب الخفيف تحته.. يُقسم يعقوب أن قلبه قد توقف عن النبض في هذه اللحظة وأن الماء وحشياً هاجمه بين ساقية بحيث قضى بقية المحاضرة في حالة هيجان شديد. ظل يعقوب لفترة طويلة بعدها شغوفاً بالفتاة وبمتابعتها كان يراها أكثر فتاة مثيرة عرفها في حياته، بثيابها القديمة وتسريحات شعرها الأقدم وأظافرهما التي لا تتوقف عن أكلها والزغب فوق شفيتها.

"إنها عذراء كاثوليكية" هكذا كان يصفها يعقوب أثناء حديثه، يأخذ نفساً من سيجارته ويرجع برأسه للوراء "كيف يمكن أن تكون مثل هذه في الفراش" يقولها مُطلقاً الدخان من

فمه؛ رغم أن يعقوب لم يكن قد سبق له مُمارسة الجنس لكنه ظل معتبراً أن هذه الفتاة في الفراش ستكون قطعة لخب، كان يحاول أن يتخيل فقط الدفء والحرارة التي يمكن أن يلمسها إذا وضع يده بين فخذيها؛ ويتألم هو من حرارة الشبق. لكن يعقوب لم يتحدث للفتاة ولم يقترب منها وظل هذا كله مجرد أحلام. لماذا؟

"لأنه لا يمكن أن تمشي في الشارع أو الكلية أو تتحدث مع فتاة كتلك" ينطق الجملة الأخيرة هازئاً رأسه بأسف، هذه واحده من المشكلات التي تستحق التقدير طبعاً الخجل إحساس مُرهق نفسياً، يهتم الواحد كثيراً بنظرات الآخرين وكيف ينظرون له، ويهتم أكثر بكيف ينظر الآخريين لمن معي، كيف يرون شريكي "هل هو نجم، هل يليق بصحبي" لهذا يحلم الواحد بالعشيقة كما المخدة، فقط جسد مثالي كما الفراشة مُقيداً في السرير كوسادة وجاهزاً في كل وقت مع عيون مَفْتُوحَة تُراقب جودة الأداء ومثانة الأسلوب وانسيابية التنفيذ. بينما يُحافظ على شريكة الحياة كأَم طيبة وجسد أخوي مثير يعرف تضاريس أرضه ومفاتيح أبوابه... كسليمة مثلاً.

لكن الفراشة الصفراء لم تكن تصلح كوسادة يرجع هذا لتفضيلها أن تكون عميلاً يتم خدمته أكثر من كونها مُشاركة في صناعة المنتج، ولا ننسي كلماتها الأكثر استخداماً دائماً "أسرع..فأسرع فأسرع". الفراشة أيضاً لا تصلح كأُم طيبة ليس لعيب في شخصيتها فلم يكن لدي الوقت لاكتشاف ذلك، بل لأن سُليمة هي من خرجت أنا من رحم جسدها بعانتها السوداء الكثيفة برائححتها المألحة وطعمها اللاذع، بذلك الترهل الخفيف كغيمةٍ مُثقلة بالمطر في بطنها، بالحسنة على جانب صدرها، بأكتافها المَحناة، وظهرها الأبيض بيثورها القليلة الحمراء، بالزغبِ على حافة مؤخرتها، بأردافها كما الكمثري، بحضنها القوي عند النشوة، ويدها الموضوعة على كفي عند النوم ويميني المَحصورة بين فخذيهما ويساري التي تمسك فهدها وأنفي المدفون في رائحة شعرها، هكذا كنا ننام في الجنة. دون تفاح أو بلح أو أفاع... سُليمة أختي الحبيبة منها خرجت

* * *

استيقظت من النوم مفزوعاً، للوهلة الأولى لم أعرف أين كنت. بعدها استوعبت أنني شبه عار وسليمة بجواري على نفس الحال، لكنني احتجت لثواني لأستوعب أننا كنا في أحد الغرف البسيطة في شقةٍ واحده من أصدقائنا، خلت أنني أتذكر الكابوس الذي أفزعني لكنه ((فووو)) تبخر. كل هذا في أقل من دقيقة، شددت طرفي الغطاء وعانقت ظهر سُلَيْمة من الخلف، أحطتها بقدمي وذراعي فَرَدْتُ الغطاءَ علينا نحن الاثنين، شعرها كان يعوق تنفسي لذا فقد رفعته ودفنت وجهي بين رقبتها وظهرها.

في الصباح أيقظني صوت المنبه، أغلقته وغفوت لعشر دقائق أخرى، قدرت أن صديقتنا الآن قد خرجت لعملها، شعرت بالامتنان حقاً لها وهذا شيء نادر في الحقيقة، لكن يجب أن نصحو الآن مازال أمامي يوم طويل وأمور لا بد من إنجازها علي رأسها تنظيف ظهر الحيتان التي تنتظر في حوض الميناء. أيقظت سُلَيْمة وخرجت من الغرفة إلى الحمام، دخلته ووقفت تحت الدش جففت جسدي وارتديت ملابسني وفتحت باب الحمام وحين خرجت كانت هناك غيمة سوداء لا تزال طائفة حول رأسي، عدت إلى مكاني وجلست بجوار

إيهاب الذي ناولني سيجارة الزيت مُبتسماً .. حمد الله علي
السلامة))

* * *

والذراع مُسترخ بكسلٍ والعيون مُغلقة.

Ooooh, you cannot reach me now
Ooooh, no matter how you try

في زيارةٍ غير مُخططة أثناء فترة الإعداد لهذه اللعبة
مررت بشارعنا القديم، أتى هذا المرور العابر بعد فترة انقطاع
طويلة لم أخط فيها الشَّارع، وكنت أعرف أنه بالطبع لن
يصبح على ما كان عليه، فالبيوت ستصير أصغر والحواري
ستصبح أضيق وسلام الكثير من المنازل ستختفي تحت الأرض
مع ارتفاع منسوب الطين والأسفلت لكن بخلاف كل هذا
وجدت لوحة معدنية زرقاء قد وضعت في بداية الشَّارع
وكتب عليها شارع أبو بكر الصديق.

بالأساس لم يكن شارعنا يحمل أي اسم رسمي ولم نعرف
له طوال الوقت سوى الاسم الشعبي الذي أطلقناه عليه
مُستمدًا من الأسطورة "شارع التين الذي أكلته الشمس"
لكن أثناء عملية إعادة الإعمار بعد الحرب سعى المجلس المحلي
للتنقيب بدقة عن جميع الوثائق والأوراق التي تؤرخ للمدينة في
محاولة لاستعادة صورتها الأصلية وإيجاد روابط في عملية البناء
بين الماضي والحاضر المشرق الذي ينتظر أبناء الوطن بعد
انتهاء معركة البناء؛ ولتسهيل مهمة عمل لجنة توثيق الماضي

المُنبثقة عن المجلس المحلي وجه المجلس المحلي الدعوة لجميع
 المواطنين ومُحيي السلام للتقدم بجميع الصور والأوراق
 والكتب التي تؤرخ للمدينة ومآضيتها الضائع، ظهر علي أثر
 ذلك أستاذ بدار العلوم ومعه نسخة من مخطوطة لرحالة عربي
 ذكر فيها أن شارعنا عرف باسم شارع أبوبكر الصديق نظراً
 لوجود مسجد كبير في نهاية الشارع كان يحمل اسم الصحابي
 الجليل واحتوى هذا المسجد على قبة خضراء عالية ومقام قيل
 إن فيه عباءة وسيف الخليفة الراحل، وذكر الرحالة الذي
 عرف باسم ناصر بن الزاهري بأن الشارع كان من أجمل
 شوارع المدينة فيه حدائق غناء وسكنه كبار التجار والقضاة
 والعلماء وصباح كل جمعة كان شهندر التجار يأمر عبيده
 بإطلاق البخور والروائح العطرة في الشارع لتطهيره وتطيب
 جوه. لكن لم يكن هناك أي جامع أو زاوية في شارعنا تسند
 رواية مخطوطة أستاذ دار العلوم، إلي أن وقف بجوار رأيه أستاذ
 أجنبي آخر في الآثار قال أن بقايا الجامع مدفونة تحت الجدار
 الذي يسد شارعنا، ولأن خبير الآثار كان أجنبياً فقد وثقت
 اللجنة في رأيه وأوصت بتسمية الشارع باسم أبو بكر الصديق

علي أن تشكل لجنة أخرى لفحص السور وسبب وجوده
والكشف عن آثار جامع أبو بكر الصديق وعباءته وسيفه.

* * *

مرة أخيرة.

أنا على الدراجة، أجري على الأسفلت، أحس بنعومته،
وتزداد سرعتي. "وكمآن كاسيت" صغير معلق في سروالي،
والسماعات في أذني، موسيقي أغني معها بصوت عال. أعبّر
بالدراجة من علي مطب أسفلي فترتفع الدراجة وأطير في
الهواء، أصرخ مجنوناً وأرفع يدي من على المقبض.

Because I have to know.
Have I been guilty all this time?

لا أستطيع أن أجالس نفسي، أخاف منها ودائماً أحاول الهروب والفرار بعيداً. في مرحلة ما من حياتي أخذت قراراً بمواجهتها؛ أقنعت نفسي وقتها أنه لتحقيق السلام التام الداخلي والتوحد مع حركة الكون والعيش في سعادة مبهجة يلزم الواحد أن يصفى جميع المعارك بينه وبين نفسه.. ثم إنه ما الذي يدعو نفسي لأن تكون عدوي وتسعى لتدميري!

هكذا بدأت لكي انهزمت. في البداية كان الأمر مُريحاً مغرباً كأنما تُمسك بكف فتاة في الحديقة تُحس بلذونه اللحم وطراوتها ويستثيرك دفؤها، تلمس الجمال في لون وشكل كتفها تقترب أكثر وتصعد بيدك، وتلتفت بكل حواسك نحوها لكن تجد الطريق قد صار مُوحشاً والحديقة ما صارت حديقة والسماء رمادية وبجوارك سور حجري عالٍ والفتاة ليست سوى دُمية من القش.. أين أقف الآن؟ كأن الطريق كان خطأ.

* * *

عرفت القرنفلَ أول مرة كعود صغير في حجم عُقْلة الأصبغ أو أصغر تعلقه كرة صغيرة يضعها جدي علي الشاي الذي يشربه في العصارى، وهو يختلف عن الشاي بالنعناع الذي يشربه في الليل وهو يُشاهد المسلسلَ أمام التلفزيون تحت البطانية الدافئة وعن يساره تجلس جدتي قدماها تحت البطانية، تُغالب النعاس كالمعتاد، وعن يمينه طاولة صغيرة عليها جميع أدويته وعلبتا كبريت واحدة تحتوي على أعواد القرنفل، والأخرى أعواد الكبريت التي يستخدمها على فترات لتسليك أسنانه.

أصعد بجواره علي السرير، وأبدأ في تقليب علب وزجاجات الدواء وتخيلها سُفناً فضائية، فيترعها من يدي خوفاً من كسرها، أتناول علبه من علب الحبوب وأبدأ في إخراج ما بها وعده ((واحد.. اثنين.. ثلاثه...)) ثم أعود من جديد لعلها وقد نسيت أين توقفت أو أخطأت في العد، يترعها أيضاً من يدي ويضع الحبوب في عبواتها، ثم يسحبني من تحت إبطي

- بطل دوشة... واطلع أقعد هنا

تعقب جدتي وقد انتبهت من سكرات نُعَاسِها، وهي

تسحبني من يدي

- تعالي خش تحت البطانية علشان تتدفا

- لأ أنا هقعد هنا على الحرف

وأجلس بجواره مَحْشُوراً في الْمَسَافَةِ بينه وبين الطَّاولَةِ،
أَلْعَبُ في التليفزيون، فيتشوش الإرسال، لكن أعود سريعاً
للِقْنَاةِ الأُولَى حتى لا أثير تدمرهما، يبدأ المسلسل فأفتح عُلْبَةَ
الكبريت، أتناول قُرْنَفَلَةً وألقها بلساني ثم أفذف بها إلى فمي،
حيث أقلبها مُسْتَشْعِراً طعمها اللاذع، وفي غمرة حماس،
أدهسها بأسناني فتنفجر داخل فمي حيث تُهَيِّجُ مَسَامَ التذوق
في لساني وأحس بالطعم مُقْرِفاً، لكني أتحمله وأنا فَاتِحُ شَفْطِي
نَافِخاً الهواء في مُحَاوَلَةٍ لتبديد الطعم لكنها هاهي المسام قد
بدأت في الهدوء والطعم المقرف يصير مُسْتَسَاغاً هَادِئاً. أتدثر
بالبطانية وأدخل يدي تحتها... مُنْدِجاً مع المسلسل.

القرنفل أيضاً استخدمته جميلة المُحْيَا في جلسة العَصَارِي،
تجلس على الكرسي الخشبي مُسْتِنْدَةً علي الجدارِ وقد ربت
سَاقِيهَا، وربطت شعرها من الخلف وفي يدها كوب الماء

البارد وقد تكثف البخار على زُجاجة الخارجي وفي الماء هناك
عود أو عودان من القرنفل.

معظم الأوقات كانت تسير ومعها عُلبه بلاستيكية
صغيرة تحتفظ فيها بأعواد القرنفل، تنثرها علي مُعظم ما
تشربه، بينما أستخدمه أنا على الماء البارد فقط، الذي كنت
أحافظ على وجوده بجواري غالباً.

من الثلاجة تُخرج الزُجاجة وإليها تعود وعند النوم
توضع الزُجاجة بجوار السرير وقد أسقط فيها عودان من
القرنفل.

* * *

استيقظت في مُنتصف الليل أمس، والعرق يخرج من كل
جزء في جسمي، ريقى جاف... مددت يدي بجوار السرير
وتناولت زُجاجة المياه الباردة لكنها كانت بلا قرنفل ومع
ذلك شربت بنهم بلوب، بلوب، بلوب...

There must have been a door there in the wall
When I came in

امشى معايا..

في أحد الشوارع المُتفرعة من شارعنا والذي أصر على تسميته بشارع التين الذي أكلته الشمس، كان هناك بقال صغير في دكان لا تتجاوز مساحته أكثر من أربعة أمتار مربعة، لكنه دائماً مليء بكل ما تحتاجه الأسرة والطفل.

فتح عم دنجل هذا الدكان حينما كنت صغيراً وكتب عليه فوق لوح خشبي "تجارة دنجل"، جلس خلف حاجز الدكان الخشبي؛ في السقف مروحة مُعلقة والأرضية من البلاط الرديء المُغطى بورق الكرتون والأرشف كلها باللون الأخضر مع إضاءة بيضاء بمصابيح النيون، وفي الداخل هناك لب وسوداني وشيبسي وبونبون وشيكولاته رخيصة، علب سمن وزيت، لنشون، جنبه، حلاوة.... وفي خارج الدكان عجلته الحديدية الثقيلة، ذات الصندوق الحديدي والتي بها ينقل البضائع من وإلى الدكان.

حمل دنجل اسمه بجدارة نظراً للشبه الكبير بيه وبين دنجل الشرير في قصص بطوط (دونالد داك)، مع اختلاف أن دنجل

شارعنا كان يجلس في يده السيجارة فاتحاً زراير جلبابه الأزرق أو الأخضر وعلى شفثيه يقبع شبه الكث وخلفه البضائع تملأ الأرفف والتي لا يحتاج لتناولها أكثر من أن يمد يده أو يدير وسطه ليصل إلي بضاعة يريدها. لكن الأهم من كل هذا أن عم دنجل لم يتغير وضعه إلي الآن، ففي الزيارة التي اكتشفت فيها تبدل اسم الشارع إلي أبو بكر الصديق رأيت دُنجل كما هو جالساً في دكانه الضيق الرطب وفي يده السيجارة مع وساحة تُغلف دكانه يمكن إرجاعها لعوامل الزمن، لكن كان هو دنجل بكل ما اخترنه له في ذاكرتي.

هذا شيء يبعث علي البهجة والحنين بصراحة، أشعر بتداخل الغربة مع الحنين مع المحافظة علي الأشواق كلما قرأت الفقرة السابقة.

* * *

في أحد أيام العيد حملت حصيلة ما جنيته كعطايا وهبات من المال وذهبت لعم دُنجل لأشتري مُسدساً لعبه كانت صورته تعجبني جداً في غلافه الخارجي، لكن حين عدت للبيت جربت المسدس... بوم بوم، طاخ بوم بوم.. تك تك تك

تعطل المسدس واتضح أنه غير سليم تأكدت حينها بما لا يدع ثغرة للشك من صحة قول أُمي وأصحابها بأن عم دُجُل ليس بالراجلِ التَمَام، فبضاعته غالباً رديئة، حتى تلك المُعلبة فهي غالباً فاسدة من سوء التخزين في دكانه الرطب.

مما لاحظته أيضاً في زيارتي الأخيرة لدُكَان دُجُل أنه الوحيد تقريباً الذي لم تترك الحرب آثارها عليه، لا شروخ في جدرانه أو تصدعات من أثر القنابل، ولا ثُقُوب بسبب الرصاص. حتى وضعه المَالِي والتجاري لم يهتز في وقت أغلق فيها الجواهرجي المُجَاور له في الشارِع، وتعرض الكثير من التجار لنكبات ماله أظاحت بمركزهم الاجتماعي لكن ظل هو بجلبابه وسيجارته وبضائعه المعطُوبة.

* * *

بعد الخلاف العاصف بيننا، ذهبت للشقة للحصول علي بعض الكتب التي كنت أحتاجها، ألتقينا في الصالة حيث كان هو خارجاً! من غرفته، لم نتبادل كلمة وتعامل كلانا مع الآخر وكأنه هواء زائد.

دخلتُ الغرفة وجمعت كُتبي، ألقيت نظرةً أخيرةً علي حجري، وأنا خَارَج إلى الصَّالَةِ كان يجلس هو علي كرسي الصَّالَةِ وما إن رأني حتى فتح فمه بنفس الصوت المثير للتوتر:

-بهذا الشكل سوف نكون نحن الاثنين في مازق

والآن حان أوان المعركة الأخيرة، إما أن تنتهي باتفاقيةٍ سلام باردة، وأما عاصفة من التدمير سوف يسقطُ فيها الأضعف بيننا، وضعت الكتب علي الطاولة وجلست علي الكرسي المُقابل له، بحثت في جيوبي عن علبة السجائر وأشعلت واحدة، وقبل أن أخرج أول نفس من الدُخان دوت صفارات الإنذار وانقطع التيار الكهربائي وبشكل لا إرادي انفجرنا نحن الاثنين في الضحك... لا يمكن أن يحدث لي هذا مع شخص بخلاف يعقوب القناوي.

عرفت يعقوب بشكل يشبه الصدفة في أول سنة لي في المدينة الكبيرة، وبدافع الحاجة.. كان هو يبحث عن شريك في السكن يتحمل جزءاً من الإيجار، وأنا أتمنى توديع المدينة الجامعية، قررنا الإقامة معاً. أول سنة مرت بشكل انسيابي.. صباح الخير يا جاري، صباح النور يعقوب، بعدها كنا نترنل في الليل حين يُحاصرنا الملل لنجلس علي قهوة ما نشرب

سحلب ويدخن هو الشيثة، نُشاهدُ تلفاز المقهى دون أن نتحدث، بعدها ذات يوم نُطق وهو ينظر للطاولة المجاورة لنا:

-تعرف تلعب طاولة

-نلعب طاولة

وفي أثناء لعب الطاولة بدأنا نتحدث، نُكته منه، نكته مني. يسخر هو مني حينما يغلبني، انظر له باستعلاء حينما أغلبه، ونضحك بدون أي سبب على كل كلمة نسمعها وأعلق في النهاية "حاجة مسخرة"

حكيت له عن جميلة المُحيا، وحكي لي عن سُليمه، تبادلنا الأسرار وحدثني عن عائلته وخلافاتها، وحدثته عن أمي وجددي المهووس بالكتب، اسمعني لأول مرة فريق بينك فلويد، وعرفته على أسماء عدد لا بأس به من الكتب والروايات، وكيف يميز صوت الطلقات والمدافع وقت العارات وماذا يفعل في حالة ظهور طائر الرخ، وفي نهاية الحرب ذهبنا نحن الاثنين إلى متحف السلام لتُشاهد معاً جميع ذكريات الحرب وصور الشهداء والأبطال، وقف أمام صورة القائد الطلابي الأسطوري، وقال لي إن أخاه قد قابله وصافحة ذات مرة استغربت جداً لأن عمي أيضاً كان قد صافح الزعيم الطلابي

لكن كمبعوث من ميلشيات النظام، وفي نهاية الرحلة خرجنا نحن الاثنين ونحن نضحك.

صرنا كظل وصاحبه، أينما وجدت يتبعني يعقوب، وأينما وجد يعقوب فأنا أتبعه، وحين نتوه عن بعض أرفع سماعة التليفون "صباح الخير بالليل يا قناوي" نلتقي ونستمر في الضحك على كل ما هو حولنا.

* * *

سافرت إلى الجنوب بدعوة من يعقوب، ركبنا ميكروباص يقطع الطريق في أكثر من خمس ساعات ويتوقف مرة واحدة للراحة في المنتصف، كان الوقت ظهراً والشمس حامية تضرب في الشباك بجوار وجهي، أخرجت من الحقيبة واحداً من قمصاني وعلقته على الشباك لكي يحجب الشمس. توقف الميكروباص في منتصف الطريق ونزل الجميع واحد يشرب شاياً، واحد يدخن سيجاره، واحد يدخل الحمام، خلعت أنا ويعقوب دون أن نشعر قمصانا ودخلنا الحمام ووضع كل منا رأسه تحت المياه لمحاولة تبريد الطاسه، خرجنا إلى السيارة والجميع ينظر لنا دون أن نلتفت والماء يتساقط علي وجهنا ويبلل فانلاتنا الداخليه البيضاء، جلسنا بوضعنا

كل واحد بكتفه العاري وفانلته الداخلية البيضاء الملتصقة
بفعل الماء. انطلق الميكروباص ونمنا منهكين كتفاً في كتف
ورأساً تستند برأس.

* * *

أعمل الآن بشكل مؤقت، كراعٍ للحيتان الصغيرة
المهددة بالانقراض، مسئول عن متابعة ثموها، وإطعامها
والعناية بنظافتها الشخصية. لذا فأنا أقضي معظم الوقت
جالساً في الحوض الضخم الذي يمكن اعتباره جزءاً من الميناء
الحربي القديم الذي تقرر تخصيصه كمركز متكامل للمحافظة
علي الحياة البحرية التي انتهكت ودمرت بشكل بشع في
سنوات الحرب.

في جلستي لمراقبة الحيتان الصغيرة كنت معظم الوقت
أظل ساهماً شاعراً بالملل ليس هناك ما يمكن أن يسليني أكثر
من اللعب بالخيال، أرى مُدناً وقطارات ومروراً خضراء
وألواناً وناساً كثيرة ترحل وتجيء.

في بعض من تلك الجلسات أشعر بخفة في رأسي أعلى
بكثير من تلك التي تحدث لي أحياناً في حالة شرب الحشيش
أو الخمر بكافة أنواعها. حالة كاملة من الخفة كأني حوت

صغير يسبحُ لوحده فوق سطح كوكب يتكون من مُحيط واحد دائري بلا أية كائنات تُشاركه المساحة المتناهية. غير أنه في مرة من المرات، وكنت جالساً باللباس البحري وقد أسقطت قدمي في المياه وأخذت أتأمل حيتاني الصغيرة رأيت الدماء تزحف وتنتشر ببطء، في البداية ظننته الولد الذي فتحت بطنه في حمام السباحة، ثم حاولت الخروج من تحيلاي مُفكراً بشكل أكثر عقلانية في مصدر الدماء.. هل يكون أحد الصغار قد أصابه مكروه؟

أخرجت قدمي من المياه وأخذت أجري حول المسبح الكبير بحثاً، عن الحوت الجريح، لكن بعد خطوات قليلة أدركت بأن الأمر لم يكن أكثر من خيال عابر، وقفت مُحاولاً استيعاب ما حدث... لقد شطحت. اشتغلت نفسي فعلياً.

تكررت التجربة كثيراً بعد ذلك، خصوصاً أثناء الإعداد لهذه اللعبة، وبدأت من طريق بعيد جداً؛ ففي مرة كنت في نفس الجلسة أفكر في أحد النصوص التي قرأتها لواحدة من صديقاتي، كان صفحة من مُذكراتها بعنوان "ابن موت" تحكي فيها عن علاقتها بولد يسمع الروك ويدرس شيئاً ما

كالفلسفة، يومها على سطح حوض المياه رأيت منزل الولد
وسيارته، الحبوب المخدرة التي يتلعبها، الكتب التي يقرأها،
حديثه مع صديقتي، رأيت كل ذلك ليس كشاشة سينما، بل
كعرض ثلاثي الأبعاد يمشي فيه الولد وصديقتي علي سطح
المياه. بعد ذلك توالت الرؤى، وفي كل مرة كانت تزداد
وضوحاً وتصير أكثر فأعليه، تتداخل مع تفاصيل مُختزنة في
ذاكرتي وأخري لحكايات خبرني بها أصدقائي وأخري سَمعت
بها أو قرأتها، وفي النهاية حينما بلغت الحيتان بعد أكثر من
سنة وبضع شهور عمراً مُناسباً للخروج للمحيط صرت تائهاً
كلياً لا أميز أين أنا من وسط كل هذا، ولا أعرف الهلاوس
من واقع الأرض الصلبة.

في هذه المرحلة بينما كان يجلس عن يميني "روجر وترز"
يتحدث بصوت مُزعج يشبه الصراخ عن العالم القبيح
والشرور التي ملأت البشر شارحاً فلسفته في الحياة ورؤيته
لاتجاه طريق السعادة كان قد آن الأوان لخروج الحيتان
للمحيط، حيث تُفتح الأبواب التي تفصل مياه الحوض عن
مياه المحيط، ليتداخل الاثنان ويحدث تيار مائي لطيف يسحبُ
الصغارَ خارج الحوض نحو...

All alone, or in two's
The ones who really love you
Walk up and down outside the wall.

أجلستني على الأريكة بجوارِ الضَّريرِ والأبرصِ والشَّحاذِ
والملكِ والوزيرِ والسيِّفِ، مُدَّتْ أَمَامِي الموائدِ أولها تُفَاحٌ
وخوخٌ وحليبٌ يليها لحمٌ مطبُوخٌ وآخرٌ مسلوقٌ وثالثٌ
مشويٌّ وفي نَهايتها مشبكٌ وقَطَائِفٌ ولُقيماتٌ قاضٍ؛ لكنِّي لم
أمد يدي، صبَّت الكأسُ وقربته ميني فوجدتني كما أنا. كنت
الوحيد الذي لم يحرك ظهره عن الجدار الذي يستند إليه،
فوضعت يدها علي ركبتي وهزتني:
-فُكِّ عَنْ نَفْسِكَ يَا ابْنِي.

شكر خاص إلى الصديق فادى عوض لمراجعته اللغوية والنحوية
ولملاحظته الفنية على مخطوط النص، التي كان لها الفضل في خروجه بهذا
الشكل.



صدر أيضاً عن دار ملايح للنشر

عن الهمس الذي يشيح بوجهه	شعر	سعيد أبو طالب
أسباب وجيهه للفرح	شعر	عمر مصطفى
النبي الافريقي	نصوص	مينا جرجس
النفس و الجنس و الجريمة	دراسة	د/ خليل فاضل



أحمد ناجي.

مواليد برج العذراء عام 1985

للأسف ما زال غراً صغيراً

وليس هناك الكثير الذي يمكن

كتابته عن سيرته الذاتية، لذا

نشكر لكم اهتمامكم وولتقي

بعد الفاصل.

fb/mashro3pdf

الردود و حتمه الفلان . عمر مطلق

